



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس
مستغانم

كلية العلوم الإنسانية والعلوم
الاجتماعية

قسم: العلوم الإجتماعية.

تخصص: فلسفة عامة.

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر

"قراءة فلسفية في الإستشراق"

"إدوارد سعيد" أنموذجا

تحت إشراف:

إعداد الطالب:

أ.د. علامي خالد المسعود.

بن يعقوب إبراهيم الخليل.

لجنة المناقشة:

رئيسا	جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم	أ.د. العربي ميلود
مشرفا	جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم	أ.د. علامي خالد المسعود
مناقشا	جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم	أ.د. حموم لخضر

السنة الجامعية: 2025/2024

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

إهداء

أهدي هذا العمل إلى أمي التي أنجبتني لهذه الدنيا و التي بدعواتها أحقق نجاحي ، وإلى أبي الذي بفضل تعبه أنا أقف على قدمي اليوم و أحقق أهدافي ، وإلى أخي الأكبر " محمد الأمين بن يعقوب " و زوجته الطيبة ، و إلى أخواتي البنات اللواتي كانوا مصدر إرادتي ، وإلى روح خالي " أحمد " الذي تربيت في أحضانه و توفي قبل أن يقرأ هذه الكلمات ، و إلى أخي و صديق الروح " يزيد " ، وإلى أخي و صديقي المخلص " ندير " ، و إلى صديقي " عباس " ، و إلى صديق الطفولة " فاروق "، دون أن أنسى "محمد" و "نور الدين " أصدقاء الدراسة الذين شاركتهم محنة طلب العلم في الجامعة ، وإلى إخوتي و أبناء خالتي "محمد" ، و "إسماعيل" ، و "إبراهيم" ، و إلى أبناء أخي ، و أبناء أخواتي الصغار حفظهم الله ، ثم إلى شهداء غزة جميعا ، وإلى قادة المقاومة الفلسطينية الذين استشهدوا قبل أن يحققوا النصر ، رحمهم الله جميعا .

كلمة الشكر والتقدير

أتقدم بخالص الشكر و التقدير إلى الدكتور و الأستاذ و الأب الروحي لنجاحي الأستاذ " علامي خالد المسعود " ، ثم إلى البروفيسور الأستاذ "العربي ميلود " الذي تعلمنا منه الكثير منذ بداية رحلتنا في الجامعة ، و إلى البروفيسور و الأستاذ "براهيم أحمد " الذي عاملنا كأصدقاء و ليس كطلبة ، فهو بالنسبة لي أخ و صديق ، و إلى الأستاذ و البروفيسور " محمد بن جدية" الذي كان سندنا لنا طوال فترة الدراسة ، دون أن أنسى الأستاذ "خضر سباعي" ، و الأستاذ " لخضر حموم" اللذان قدم الكثير لقسم الفلسفة ، و إلى رئيسة الشعبة الدكتورة "غانية عمارة" التي لن ننسى دعمها لنا ، و إلى الأستاذة و الدكتورة " نجمة بوصوار " التي تعلمنا منها نمط التفكير الإيجابي ، و إلى الدكتور "طالبى توفيق " الذي كان داعما لنا بأفكاره الراقية ، و إلى الأستاذ " أحمد بلفوضيل" الذي خيره دين علينا ، و إلى جميع الأساتذة الذين درسنا عندهم و تعلمنا منهم .

مقدمة

مقدمة:

لا يمكن فهم العلاقة المعقدة التي نسجها الغرب مع الشرق على امتداد القرون الماضية من دون التوقف عند مفهوم الاستشراق، ذلك المفهوم الذي لم يكن مجرد وصف لاهتمام علمي أو ثقافي، بل كان أداة من أدوات الهيمنة الرمزية والمعرفية كما سنبين في هذا البحث، فلقد شكّل الاستشراق مدخلاً لفهم تمثّلات الغرب للشرق، ووسيلة لفهم كيف يمكن للمعرفة أن تخدم السلطة، بل وتتشكل في أحضانها، وبالتالي كان لا بدّ من التعمق في هذا المفهوم، ونشأته، وتطور تياراته ومناهجه، لفهم كيف تموضع الشرق في المخيال الغربي، لا بوصفه آخر مختلفاً فقط، بل بوصفه آخرًا ينبغي إخضاعه وتأطيره وإعادة تشكيله، وقد جاء اختيارنا لهذا الموضوع بدافع مزدوج "ذاتي" و "موضوعي". أما الذاتي، فيرتبط برغبتنا العميقة في فهم كيف تشكّلت الصورة النمطية عن الشرق في الأدبيات الغربية، وكيف تسلّلت هذه التصورات إلى اللاوعي الجمعي، إذ نجد أن بعض أبناء المجتمعات الشرقية صاروا يرون أنفسهم من خلال أعين الآخر الغربي، ويعيدون إنتاج تلك الصور دون وعي، وهو ما يجعل تفكيك هذا اللاوعي ضرورة لتحرير الفكر والهوية من قوالب تم إنتاجها خارجيًا، أما الموضوعي فمرجه القيمة الفكرية والمعرفية الكبيرة التي ينطوي عليها تحليل ظاهرة الاستشراق، خصوصًا في ضوء التحولات العالمية الراهنة، حيث ما تزال علاقات الهيمنة الثقافية مستمرة، وإن اتخذت أشكالًا أكثر نعومة أو تمويهًا. من هنا، فإن دراسة الاستشراق ليست فقط عودة إلى الماضي، بل هي محاولة لفهم الحاضر وتشريحه نقديًا، وتكمن أهمية هذا الموضوع في كونه يعبر عن تقاطع بين المعرفة والسياسة، بين الفكر والسلطة، وهو ما يجعل من دراسته أمرًا ضروريًا لكل باحث في الفلسفة أو العلوم الإنسانية، لا سيما أن الخطاب الاستشراقي لم ينقطع، بل ما يزال يعاد إنتاجه بوسائل جديدة، سواء في الإعلام أو في المناهج التعليمية أو حتى في الفنون والثقافة الشعبية. وتزداد قيمة هذا البحث مع العودة إلى أعمال المفكر الفلسطيني الراحل "إدوارد سعيد" الذي أحدث قطيعة نقدية جذرية في مقاربة الاستشراق، من خلال كتابه المرجعي "الاستشراق"، والذي لا يزال إلى اليوم يثير



الجدل والنقاشات الثرية في مختلف الدوائر الفكرية والأكاديمية ، وانطلاقاً من هذه الأرضية تتمثل الإشكالية الأساسية التي يسعى هذا البحث للإجابة عنها في : كيف أسهم الاستشراق، بوصفه خطاباً معرفياً وثقافياً، في تشكيل صورة الشرق في الوعي الغربي، وما حدود القراءة النقدية التي قدّمها "إدوارد سعيد" لهذا الخطاب؟ وتتفرع عن هذه الإشكالية أسئلة أخرى من قبيل: ما جذور الاستشراق الفلسفية والتاريخية؟ كيف تطورت تياراته ومناهجه؟ وما الذي يميز مقاربة "سعيد" عن غيره من النقاد؟ ثم : هل ما زال خطاب الاستشراق حاضرًا في واقعنا المعاصر؟ وكيف يمكننا تفكيكه أو مقاومته معرفياً؟

وللإجابة عن هذه الإشكالات، اعتمدنا في هذا البحث على المنهج التحليلي والمنهج النقدي، حيث سعينا إلى تفكيك النصوص والمفاهيم وتحليلها ضمن سياقاتها التاريخية والمعرفية، مع قراءة نقدية لمضامينها وأبعادها ، وقد انقسم البحث إلى فصلين رئيسيين : تناول الفصل الأول مفهوم الاستشراق في أبعاده المختلفة، من النشأة التاريخية والفلسفية، إلى مناهجه وتياراته المتعددة، مع تمهيد لفكر "إدوارد سعيد" ؛ أما الفصل الثاني، فقد خُصص لتحليل كتاب "الاستشراق" شكلاً ومضموناً، متوقفين عند أبرز أفكاره وإشكالاته، ثم قمنا بإسقاط تلك الأفكار على الواقع الراهن، محاولين الربط بين النظرية والممارسة، وبين الفكر والسياق الذي يعيد إنتاجه.

كما أن هذا الموضوع قد تطرق إليه العديد من الباحثين و الأساتذة ،وعلى سبيل المثال أطروحة الدكتورة للدكتور " أحمد سمايلوفيتش " و التي تحمل عنوان "فلسفة الإستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر " ، و مذكرة تخرج لنيل شهادة في فلسفة العامة، جامعة بسكرة ، والتي تحمل عنوان " الإستشراق عند إدوارد سعيد " و العديد من المقالات و الأوراق البحثية التي كتبت حول هذا الموضوع .

ولقد واجهنا بعض الصعوبات أثناء إنشاء هذه المذكرة ، وقد تمثلت هذه الصعوبات في الحصول على بعض المراجع ، بالإضافة إلى كتاب الاستشراق " لأدوارد سعيد " حيث حرصنا على أن نقتني النسخة المترجمة من طرف الأستاذ "محمد عناني" التي تعتبر أحسن



ترجمة للكتاب ، وبالتالي الحصول على هذه النسخة لم يكن سهلا ، ولكن بفضل الله استطيعنا أن نتغلب على هذه الصعوبات و بدأنا في بحثنا.

وبالتالي فإن هذا البحث ليس مجرد دراسة أكاديمية بنسبة لنا ، بل هو أيضا محاولة شخصية للتفاعل مع قضية تشغلنا فكريا وإنسانيا، على أمل أن نقدم إسهاما متواضعا في فهم إحدى أهم الإشكاليات المعرفية والثقافية في العصر الحديث.

الفصل الأول

**الفصل الأول : مفهوم الإستشراق ، و النشأة التاريخية ، فلسفة الإستشراق ،
قراءة في فكر ادوارد سعيد .**

**المبحث الأول : مفهوم الإستشراق ، و النشأة التاريخية .
أ- : المفهوم اللغوي للإستشراق :**

إن مصطلح الاستشراق متجذر بشكل أساسي في مفهوم الشرق حيث يقال " شرقت الشمس شرقا بمعنى طلعت من الشرق " ¹ ومن خلال هذا التطور اللغوي، أصبح مصطلح الاستشراق يشمل جميع المساعي العلمية التي تركز على المجتمعات الشرقية والمكرسة لفهم ممارساتها الثقافية وأفكارها الفلسفية ومعتقداتها الدينية. و يشير المصطلح اللغوي "Orientaliste" إلى الفرد الذي يشارك في دراسة الشرق، وهو مشتق من الكلمة اللاتينية "Oriens" التي تعني الشرق. بالإضافة إلى ذلك، فإن علم الإسلاميات islamologie يعد أبرز التقسيمات الفرعية للاستشراق، مع التركيز بشكل خاص على فحص الإسلام.² ويعرف "مكسيم رودنسون" الاستشراق بأنه : "دراسة المجتمعات الشرقية وحضارات الشرق وأدبياته وتاريخه، أي كل ما يعتبره الغربيون شرقياً، حيث إن الغرب هو مصدر مفهوم الاستشراق"³

ب - المفهوم الإصطلاحي للإستشراق :

يشير مصطلح "الاستشراق" إلى الاتجاه الفكري الذي يسعى إلى دراسة الحضارات الشرقية، خصوصاً الحضارة الإسلامية من نافذة غربية ، وقد ساهم هذا الاتجاه الفكري في تشكيل التصورات الغربية عن الشرق، وبرغم من اختلاف و تعدد التعريفات التي قدمها المفكرون و الباحثون حول الاستشراق ، إلا أن جوهر الاستشراق يكمن في دراسة الشرق من منظور أجنبي يهدف إلى فهمه وتفسيره، و في بعض الأحيان يكون انتقائي و متحيز ، وقد حظي هذا

¹ ابن منظور لسان العرب الجزء الثالث دار النشر ، الصادر لطباعة ، بيروت لبنان ط 1 ، 1997 ، ص 425
² أوراق بحثية ، المسألة النقدية بين مالك بن نبي و محمد عابد الجابري ، د.زهير بن كتفي كلية العلوم الإسلامية جامعة الوادي ، تاريخ النشر 2024/10/15 ، تاريخ الإعتماد 2024/12/25 س 21:15
مرجع السابق ، أوراق بحثية ، د.زهير بن كتفي ³

المصطلح بتداول واسع، إلا أن تعريفه اختلف باختلاف السياق و اختلاف الباحث، مما يعكس التباين في الأهداف التي تقف وراء هذه الدراسات. فالبعض يرى أن الاستشراق يهدف إلى فهم الشرق بشكل موضوعي، و البعض يرى أنه يحمل في طياته تحيزات ثقافية و إيديولوجية وسياسية.

عندما ننظر إلى التعاريف، فمن الصعب علينا أن نضع تعريفاً موجزاً ودقيقاً للاستشراق، وذلك بسبب طبيعته التي تتداخل مع مجالات أخرى، على سبيل المثال، الأنثروبولوجيا، واللسانيات، والتاريخ، والاقتصاد. ومع ذلك، يمكن القول بشكل عام إن الاستشراق هو دراسة الغرب للشرق، و هذا بغض النظر عن اهدافها فقد اتخذ الاستشراق اتجاهات متنوعة منذ ظهوره ، وتغيرت أهدافه واهتماماته على مر الزمن .

ت - مفهوم آخر للاستشراق :

الاستشراق هو مجال "علمي يهتم بدراسة لغات الشرق وتراثه وحضاراته ومجتمعاته، بالإضافة إلى ماضيه وحاضره. يشمل مصطلح "الشرق" أي منطقة شرقية، بما في ذلك الثقافات الفارسية والتركية"⁴. مع مرور الوقت، تطورت هذه الدراسات وأصبحت أكثر تخصصاً، حيث بدأ كل منطقة تحظى باهتمام خاص. نتيجة لذلك، ظهرت مصطلحات جديدة مثل "الدراسات العربية" للإشارة إلى دراسة اللغة العربية وشؤون العرب، وأصبح يُطلق على المستشرقين المتخصصين في هذا المجال اسم "المستعربين" ، "كما يعتبر الاستشراق أيضاً مدرسة فكرية تتميز بخصائص ودوافع وأهداف محددة ليس من السهل على أي باحث أن يفهم كل أسرار هذه المدرسة أو أن يلم بجميع أهدافها، فهي نتاج صراع طويل بين الحضارتين الإسلامية والمسيحية. هذا الصراع أدى إلى تناقضات وتباينات بين العقيدتين والثقافتين والحضارتين، مما شكل أساساً لتجربة حية من التفاعل والاختلاف. و يعرف جويدي علم الاستشراق والمستشرق بأنه وسيلة لدراسة كيفية التأثير المتبادل بين الشرق والغرب. بمعنى آخر، الاستشراق هو علم الشرق، ويمكن اعتباره جزءاً من تاريخ الروح

مذكرة تخرج شهادة ليسانس ، في الأدب العربي ، قراءة في كتاب الإستشراق لإدوارد سعيد ، جامعة الطاهر مولاي، ولاية سعيدة ، من اعداد الطلبة ، عداوي مروى ، نواري رقية ، السنة الجامعية ، 2020/2019 ص 4 4

الإنساني.⁵ وبالتالي فهذا العلم لا يقتصر فقط على جمع المعلومات عن الشرق، بل هو أيضًا دراسة للعلاقة المتبادلة بين الحضارة الغربية والحضارة الشرقية. حيث أن الاستشراق يعتبر بابًا من أبواب فهم التطور الروحي للإنسان .

ث - مفهوم الإستشراق عند بعض مفكرين العرب

1 - عند إدوارد سعيد :

يعتبر "إدوارد سعيد" أول من تناول الاستشراق بنقد دقيق وصارم في كتابه "الاستشراق"، حيث بين أسسه ومنطلقاته وأهدافه الإيديولوجية. وقد اعتبر العديد من الباحثين المسلمين أن الاستشراق يعبر عن حركة إيديولوجية تهدف إلى تشكيل معرفة الآخر وفق منظور مغاير عن معرفة الآخر لنفسه، مما فتح المجال للعديد من الأبعاد المفاهيمية والسياقية في الفضاء التعريفي للاستشراق .

لقد عرف "إدوارد سعيد" الاستشراق بأنه "ابتكار غربي للشرق"، ووصفه بأنه تعبير عن حالة من "العصاب التوهمي"، حيث يُسقط الغرب تصوراتهِ وأوهامه على الشرق، ويعكس من خلالها رغبة عميقة في الهيمنة والسيطرة⁶.

كما يشير "إدوارد سعيد" في كتابه "الاستشراق" إلى "أن الاستشراق ليس مجرد موضوع أو مجال سياسي يُدرس في الجامعات والمؤسسات البحثية، بل هو مجموعة واسعة من الأفكار المنتشرة حول الشرق. وهو ليس مجرد نتيجة لمؤامرة غربية شريرة تهدف إلى تغيير العالم الشرقي، بل هو بالأحرى توزيع للوعي الجيوسياسي عبر نصوص جمالية وبحثية واقتصادية واجتماعية وتاريخية. وهو ليس مجرد أداة للتمييز الجغرافي أو السياسي، بل أيضًا وسيلة

مرجع السابق مذكرة تخرج شهادة ليسانس، في الأدب العربي ص 45
إدوارد سعيد الثقافة و الإمبريالية ، ترجمة ، كمال أبو ديب ، الطبعة الثالثة 2004 ، بيروت ، دار الأدب ، ص

6 120100

لتعزيز مصالح معينة، حيث لا يقتصر دور الاستشراق على خلق هذه المصالح بل أيضاً على الحفاظ عليها من خلال وسائل مثل البحث الأكاديمي.⁷

2 - عند محمد عابد الجابري :

يذهب "الجابري" في تعريفه للاستشراق إلى "أنه في جوهره طلب الشرق على جميع أصعدته وجوانبه. وقد ميز بين أنواع مختلفة من الاستشراق، حيث يعود معيار هذا التقسيم إلى الطبيعة والمهمة الملقاة على عاتق المستشرق في السياق التاريخي الذي كان يعيش فيه. فهناك المستشرق السياسي الذي يصب توجهه ودراساته عن الشرق في خدمة الخطط الاستعمارية للعالم العربي الإسلامي، خاصة في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. وهناك المستشرق الذي تدفعه عوامل ذاتية لاكتشاف جوانب الشرق وغرائبه فأعجب وأولع به. وهناك من دفعته أزمة روحية بفعل حرب أو فراغ روحي للعمل على اكتشاف الشرق الروحي"⁸.

يشير الجابري في هذا السياق إلى أن الاستشراق ليس تياراً واحداً موحدًا، بل هو مجموعة متباينة من الأنماط والاتجاهات، تتحدد ملامحها بحسب طبيعة الدور الذي اضطلع به المستشرقون والظروف التاريخية التي عملوا ضمنها، ومن هذا المنطلق، يفرّق "الجابري" بين ثلاثة أصناف رئيسية من المستشرقين. :

المستشرق السياسي : هو ذلك الباحث الذي وُظفت دراساته وتوجهاته لخدمة المشاريع الاستعمارية، خصوصاً خلال القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين. فقد كان هذا النوع من المستشرقين بمثابة أداة فكرية بيد الاستعمار، حيث استُخدمت معرفتهم بالشرق للمساعدة في فرض الهيمنة على العالم العربي والإسلامي.

المرجع السابق ، ص 1137
محمد عابد الجابري ، المسألة الثقافية ، الطبعة الاولى ، بيروت ، مركز الدراسات الوحدة العربية ، 1994 ، ص 270 ⁸

المستشرق الذي يدفعه الفضول المعرفي: و هذا النوع من المستشرقين كان دافعه في الغالب ذاتياً، نابغاً من فضول شخصي وشغف بعوالم الشرق الغربية والمثيرة في نظرهم ، فلقد أسرهم سحر الشرق، وأعجبوا بثقافته وحضارته، فاندفعوا إلى دراسته لا بدافع الهيمنة أو التوظيف السياسي، بل بدافع الاكتشاف والفهم.

المستشرق الروحاني : فهو ذاك الباحث الذي دفعته أزمة روحية أو شعور بالفراغ الداخلي إلى التوجه نحو الشرق، باحثاً فيه عن معنى أعمق للحياة. لم يكن دافعه علمياً بحثاً، بل كان بحثه محاولة لملء هذا الفراغ الروحي ، وقد وجد في تقاليد الشرق وموروثه الروحاني ما بدا له إجابات محتملة لتساؤلاته، فتركز اهتمامه على البعد الروحي في الثقافة الشرقية، أكثر من أي جانب آخر .

ج - مفهوم مصطلح المستشرق :

يقول "مالك بن نبي" في هذه المسألة : " إننا نعني بالمستشرقين أي الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية "9، بمعنى كل من يكتب عن الحضارة الإسلامية فهو مستشرق ، وفقاً لهذه النظرة التقليدية، فإن المستشرق هو عالم غربي غير مسلم يدرس الحضارة الإسلامية. هذا التعريف يركز على التباين الثقافي والديني بين الباحث والمحلل، ويعتبر أن هذا التباين هو ما يميز المستشرق عن غيره من الباحثين ، بينما يرى آخرون أن الانتماء الديني ليس المعيار الأساسي أمثال "علي حسني الخربوطلي" ، و "الطيب بن إبراهيم" . وبالتالي فإن المستشرق هو باحث غربي متخصص في دراسة الحضارات الشرقية، بما في ذلك اللغات، الأدب، الفنون، الدين، والتاريخ. أهداف المستشرقين متنوعة، فقد تكون بحثية بحتة تسعى لفهم أعمق للثقافات الشرقية، أو قد تكون مدفوعة بأجندات سياسية أو اقتصادية تهدف إلى السيطرة والتأثير على هذه الثقافات .

9 مالك بن نبي؛ إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث ؛ دارالإرشاد؛ بيروت لبنان؛ 1969م ؛ ص5

ثانيا : النشأة التاريخية للإستشراق :

وبعد أن نظرنا إلى مفهوم الاستشراق من حيث اللغة والاصطلاح، فلا بد أن نفهم أصله التاريخي، حيث نؤكد أن التاريخ بين الشرق والغرب عبر القرون هو علاقة تاريخية و ليس علاقة فحسب بل هو صراع ، وقد تجلّى هذا الاهتمام من خلال الحركة الاستشراقية التي كانت بمثابة نافذة يتأمل الغرب من خلالها الشرق لفهم جذور الحضارات الشرقية يرجع بعض المفكرين مثل "ادوارد سعيد" "أصول الاستشراق إلى المجمع الكنسي الذي عقد في فيينا عام 1312م، حيث قرر هذا المجمع بتخصيص مقاعد داخل الكنيسة لدراسة اللغات السماوية والحضارات القديمة وكان هذا القرار يحمل في طياته دوافع دينية وسياسية لدى الكنيسة والغربيين، ففي الظاهر يهدف هذا لقرار إلى فهم الديانات الأخرى بينما في باطنه كان يهدف إلى دراسة الشرق للسيطرة عليه.وبرغم من هذا القرار، لم تتحقق الأهداف المنشودة بشكل كامل إلا بعد مرور قرن من الزمن " 10.

ويرى العديد من الباحثين إلى أن تحديد بداية الاستشراق في القرن الرابع عشر أمر يطرح العديد من التساؤلات و يجب اعادة النظر فيه، حيث يرون أن التفاعل الحضاري بين الشرق والغرب، والذي ظهر بوضوح في الأندلس، هو من فتح الطريق لظهور الاهتمام الأوروبي بالدراسات الشرقية فكما يعرف تاريخيا فإن ترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر تعد دليلاً قويا على وجود تواصل معرفي عميق بين الحضارتين، مما يجعل تحديد نقطة انطلاق للاستشراق أمراً صعباً. وهذا حسب 11 "عبد الله علي العليان" ، لقد مر الاستشراق بمراحل عديدة وكان للمستشرقين تأثير كبير على النظرة الغربية للإسلام خاصة أثناء الحروب الصليبية وبعدها. واتسمت دراساتهم بالتحيز، مما أدى إلى تقديم صورة غير دقيقة ومشوهة عن الإسلام والمسلمين. وقد ساهمت هذه الصورة النمطية في توسيع الفجوة بين الشرق والغرب، وزيادة حدة مشاعر الكراهية والعداء بين الجانبين. علاوة على ذلك فإن سوء فهم النصوص الدينية الإسلامية نتج عن عدم إتقان اللغة العربية من قبل العديد من

10 ادوار سعيد: الاستشراق : ، ترجمة ، محمد العناني ، الطبعة الأولى 2006 ، القاهرة رؤية للنشر و التوزيع ، ص19.

11 عبد الله علي العليان ، المرجع السابق، ص16.

المستشرقين في ذلك الوقت، قد أدى إلى تفسيرات خاطئة وسطحية ساهمت في تشويه صورة الإسلام. ، ثم جاء عصر النهضة فأصبح المستشرقين يستخدمون مجموعة من النماذج الفكرية لدراسة المجتمعات الشرقية، والتي كانت هدفها فهم هذه المجتمعات وتغييرها. ومن بين أهم هذه النماذج "النموذج الاستقلالي"¹² الذي يركز على دراسة كل مجتمع بمعزل عن سياقه التاريخي والثقافي، والنموذج الوضعي الذي يعتمد على المنهج العلمي لدراسة الظواهر الاجتماعية، والنموذج التاريخي الذي يسعى إلى فهم التطور التاريخي للمجتمعات الشرقية. وقد ساهمت هذه النماذج في تشكيل صورة نمطية عن الشرق كمنطقة متخلفة تحتاج إلى من يخرجها من تخلفها و يدخلها إلى الحضرة.

¹² المرجع السابق ، ادوار سعيد: الاستشراق ص 29

المبحث الثاني : فلسفة الإستشراق ، ومناهجها

أولا : فلسفة الإستشراق :

فلسفة الاستشراق تمثل مجالا بحثيا واسعا يهدف لفهم الشرق، خاصة العالم العربي والإسلامي، من منظور الفكر الغربي. فهذا المجال نشأ بسبب التفاعلات التاريخية والثقافية بين الشرق والغرب، وتطور على مر القرون ليشمل تيارات واتجاهات متنوعة تسعى لتفسير وفهم الشرق من زاوية فلسفية عميقة ومنظور علمي أكاديمي ، كما أن دراسة هذه الفلسفة كشفت لنا عن نزعات رئيسية شكلت أساس فلسفة الاستشراق. لكن قبل الغوص في هذه الفلسفات، يجب الحديث عن ماهية فلسفة الاستشراق. فكما هو معروف في الفلسفة، المنطق يفرض نفسه عند دراسة أي مفهوم فلسفي. ففلسفة الاستشراق، باعتبارها مجالا جديدا للبحث والدراسة، تتطلب منهجا محددًا لفهمها وتحليلها أضف إلى ذلك أن الإسلام ظهر في الجزيرة العربية كظاهرة تاريخية غير مسبوقة، حيث انتشر بسرعة وانتشرت مبادئه وقيمه التي أذهلت الشعوب الأخرى. و هذا ما أثار تساؤلات عميقة لدى من عاصروا هذه الظاهرة الجديدة على البشرية. وقد تمحورت هذه التساؤلات حول أسئلة وجودية وفلسفية في المقام الأول، أهمها: ما هذا الدين الجديد؟ كيف جاء؟ من أين جاء؟ ما رسالته الجوهرية؟ وما مبادئه؟

فهذه الأسئلة والدهشة التي أثارها الإسلام هي نفسها التي دفعت البشر إلى التفلسف منذ القدم. فالفلسفة، كما شهد "أرسطو"، هي محاولة لفهم الظواهر التي تدهش الإنسان¹³. والإسلام، عندما أقام حضارته، لم يكتفِ بالبناء على الحضارات السابقة، بل أضاف إليها أشياء جديدة، مما جعلها حضارة نادرة و قادرة على كشف أسرار الحياة وتقديم فهم أصيل للكون والإنسان ، من هنا، يمكن القول بأن فلسفة الاستشراق نشأت كرد فعل على هذه الحضارة الإسلامية التي أثارَت اهتمام الغرب. فمع انتشار الإسلام، بدأ أهل الكتاب النظر إليه ليس فقط كظاهرة دينية، بل كفرصة للاستفادة من مبادئه وأفكاره. وقد أدى الى تكوين صورة خاصة عن

13 أحمد سمايلوفيتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق ص 195

الإسلام في أذهانهم، والتي تبلورت لاحقًا في الاستشراق وقد أدى هذا أيضا إلى رغبة الإنسان في الهروب من الجهل وهي أيضًا تعبير عن غريزة الاستطلاع والرغبة في فهم كل ما يدخل في نطاق العقل البشري فالإنسان، عندما يتفلسف، يحقق إنسانيته، سواء كان فيلسوفًا محترفًا أو هاويًا ، فهذا التفلسف يؤدي دائمًا إلى توليد أفكار وفلسفات جديدة ، ففلسفة الاستشراق برزت إلى الوجود نتيجة للتأثيرات التي أحدثتها التجربة الإسلامية في عقول أهل الكتاب. فبعد أن فشل الغرب في مواجهة الإسلام عسكريًا خلال الحروب الصليبية، اضطر إلى مواجهته فكريًا وقد بدأ هذا التوجه في القرن الثامن الميلادي، عندما بدأ علماء الغرب في دراسة القرآن ومناقشة أفكاره. ومن أبرز هؤلاء العلماء "القدّيس كيرلس"، الذي ترجم بعض آيات القرآن إلى اللاتينية¹⁴، مما أثار اهتمامًا كبيرًا في أوروبا، و في القرن التاسع عشر أصبحت فلسفة الاستشراق أكثر نضجًا وتطورًا، حيث بدأت تتعمق في دراسة القضايا المتعلقة بالعرب والإسلام. فلم تعد تقتصر على دراسة النصوص الدينية، بل امتدت لتشمل اللغة، الثقافة، التاريخ، والفلسفة. وقد أثارت هذه الدراسات ردود فعل مختلفة في الأوساط العربية، حيث بدأ المفكرون العرب في الرد على هذه الأفكار والدفاع عن حضارتهم .

14 أحمد سمايلوفيتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق ص 196

نزعات فلسفة الإستشراق :

ولكن مع تطور فلسفة الاستشراق قد ظهرت معها عدة نزعات فأصبح لكل مستشرق نزعته التي ينتمي إليها ، وقد كان لهذه النزاعات تأثير كبير على الساحة الأدبية العربية ، و قد تمثلت هذه النزعات في خمس نزعات رئيسية و هي :

أ - النزعة التفوقية :

تعتبر النزعة التفوقية من أقدم التيارات في فلسفة الاستشراق، حيث حاول المستشرقون إظهار تفوق الغرب على الشرق في مختلف مجالات الحياة. و قد كرست هذه النزعة للإيديولوجية الاستعمارية و التي سادت في القرنين التاسع عشر والعشرين، حيث كان الغرب يرى نفسه كنموذج لحضارة متفوقة على الشرق و الذي كان يُنظر إليه على أنه متخلف و رجعي. و من أبرز ممثلي هذه النزعة "إرنست رينان"، الذي اعتبر أن السبب الأول في تخلف الشرق هو الإسلام ، على عكس المسيحية التي ساعدت الغرب على التقدم. و قد كانت هذه النزعة تعكس النظرة استعلائية و الدوغمائية الدينية تجاه الشرق أضف الى ذلك أنها تجاهلت الإسهامات الحضارية والعلمية للعالم العربي والإسلامي خاصة في فترة الحضارة الأندلسية.¹⁵

ب - النزعة التحليلية :

ظهرت النزعة التحليلية كاتجاه معاكس للنزعة التفوقية والتي حاولت فهم الشرق من خلال تحليل الظواهر الثقافية والاجتماعية والدينية ، بحيث تميزت هذه النزعة بالموضوعية العلمية، حيث قامت بتحليل الشرق بعيداً عن الأحكام المسبقة ، و من أبرز ممثلي هذه النزعة "جاك بيرك"، الذي حاول فهم الشخصية العربية الإسلامية من خلال دراسة تاريخها وثقافتها. فهذا الأخير لم يكتفِ بالتحليل السطحي، بل حاول التعمق في الثقافة العربية لفهمها

أحمد سمايلوفيتش :فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق ص 198¹⁵

بشكل دقيق و بالتالي ساعدت هذه النزعة في تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة عن الشرق، وأظهرت أهمية التحليل العلمي في فهم الثقافات الأخرى.¹⁶

ت - النزعة التخصصية :

مع تطور الدراسات الاستشرافية، ظهرت النزعة التخصصية التي ألفت الضوء على جوانب محددة من الثقافة العربية والإسلامية، مثل الفلسفة، الأدب، الفن، والعلوم. و بالتالي هذه النزعة عبارة عن محاولة لفهم الشرق من خلال التخصص في مجالات معينة، بدلاً من النظر إليه ككل متجانس ، و من أبرز ممثلي هذه النزعة "إرنست رينان" و الذي اختص بدراسة فلسفة "ابن رشد" ، فكان من ابرز اهتماماته الفلسفة الإسلامية و كيف كان تأثيرها على الفكر الغربي الأوروبي ، فقد بينت هذه النزعة الإسهامات العلمية والفلسفية للعالم العربي، وأظهرت أن الشرق ليس مجرد كيان ثقافي واحد، بل هو مجموعة من التخصصات والمجالات التي تحتاج إلى دراسة مكثفة و عميقة.¹⁷

ث - النزعة اللاهوتية :

تعد هذه النزعة ا من أقدم النزعات في فلسفة الاستشراق، حيث حاول المستشرقون فهم الإسلام من منظور لاهوتي حيث كانت عبارة عن نزعة تقوم بالتنقيب في النصوص الإسلامية و من أبرز ممثلي هذه النزعة "لويس ماسينيون"، الذي قام بدراسة الإسلام من خلال دراسة النصوص الدينية الاسلامية و مقارنتها مع المسيحية. و برغم من أن هذه النزعة كانت تدرس الشرق من خلال البحث في الاسلام الى أنها وقعت في التحيز نحو المسيحية وهذا ما جعلها تتعرض للعديد من الانتقادات.¹⁸

أحمد سمايلوفيتش :فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق ص 200¹⁶
أحمد سمايلوفيتش :فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق ص 203¹⁷
أحمد سمايلوفيتش :فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق ص 209¹⁸

د - النزعة السياسية :

النزعة السياسية كانت آخر النزعات التي حاولت فهم الشرق و هذا من خلال تحليل الجوانب السياسية و تحليل الظواهر الاجتماعية و من أبرز ممثلي هذه النزعة " برنادر لويس" الذي قام بدراسة الشرق ككيان سياسي من خلال البحث في التاريخ السياسي للمجتمع الشرقي و ركز أيضا على دراسة التوازن بين الدين و السياسة و كيف كان التأثير الديني على القرارات السياسية في العالم العربي و الإسلامي .¹⁹

و من خلال هذه النزاعات المختلفة التي ظهرت مع فلسفة الإستشراق ظهرت العديد من المناهج التي استخدمت في هذه الفلسفة ، و المتمثلة في :

ثانيا : مناهج الإستشراق :

أ - المنهج التاريخي :

"يعتمد هذا المنهج بشكل أساسي على دراسة الوثائق والمخطوطات القديمة، حيث يقوم الباحثون بمقارنة المعلومات المتاحة من مصادر مختلفة بهدف التأصيل والتحقق من دقة الأحداث التاريخية. هذا المنهج يهدف إلى بناء فهم دقيق لتاريخ الإسلام من خلال تحليل المصادر الأولية والثانوية"²⁰ إذ أن هذا المنهج يقدم أساساً قوياً لفهم التاريخ الإسلامي من خلال التحليل الدقيق للمصادر، ولكنه قد يفتقر إلى فهم السياقات الثقافية والروحية التي قد تكون حاسمة في تفسير بعض الأحداث .

ب - المنهج الاستقرائي أو (القياسي) :

" يعتمد هذا المنهج على قواعد محددة تهدف إلى تنظيم عملية استنباط النتائج والمبادئ من الأحداث التي يتم دراستها. يتم استخدام هذا المنهج لتحليل الأحداث التاريخية بشكل منهجي، حيث يتم استخلاص النتائج بناءً على الأدلة المتاحة. يعتبر هذا المنهج علمياً إلى حد كبير،

أحمد سمايلوفيتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق ص 213¹⁹
20 مرجع السابق مذكرة تخرج شهادة ليسانس، في الأدب العربي ص 5

حيث يحاول الباحثون تطبيق قواعد منطقية لفهم الأحداث وتفسيرها. " 21 و بالتالي يركز هذا المنهج على المنطق والعلم، مما يجعله مفيداً في تحليل الأحداث بشكل منهجي، ولكنه قد يتجاهل الجوانب الروحية والغيبية التي لا يمكن قياسها بالمعايير العلمية .

ت - المنهج الذاتي :

"في هذا المنهج، يقدم المستشرقون تفسيراتهم الشخصية للأحداث بناءً على خلفياتهم الفكرية والدينية (سواء كانت مسيحية أو يهودية) والسياسية. يعتمد هذا المنهج على النزعة الذاتية للباحث، مما قد يؤدي إلى تفسيرات متحيزة أو متأثرة بمعتقدات الباحث الشخصية غالباً ما يتم في هذا المنهج إخضاع الدين للمقاييس العلمية، مما قد يؤدي إلى إبعاد العناصر الغيبية والوحي عن تفسير الأحداث الإسلامية. هذا المنهج يثير تساؤلات حول موضوعية البحث، حيث أن الخلفية الشخصية للباحث قد تؤثر بشكل كبير على النتائج التي يتوصل إليها" 22 ، حيث يسلط الضوء على للباحث و كيف يفسر الأحداث، ومع ذلك في بعض الأحيان فإنه يقدم منظوراً مختلفاً قد يكون مفيداً في فهم كيفية تأثير الخلفيات الثقافية والدينية على تفسير التاريخ.

ولكي نلخص كل هذه الأفكار نقول بأن فلسفة الاستشراق تمثل مجالاً بحثياً واسعاً ومعقداً، يعكس التفاعلات التاريخية والثقافية بين الشرق والغرب ، فلقد نشأت هذه الفلسفة كرد فعل على الحضارة الإسلامية التي أثارت اهتمام الغرب بفضل سرعة انتشارها وقيمها الجديدة التي أدهشت العالم ومن خلال تطورها، برزت عدة نزعات رئيسية مثل النزعة التفوقية، التحليلية، التخصصية، اللاهوتية، والسياسية، والتي حاولت كل منها فهم الشرق من زاوية مختلفة. هذه النزعات، رغم تنوعها، كشفت عن رغبة عميقة لدى الغرب في فهم الشرق، سواء من خلال التحليل العلمي أو المقارنات الدينية أو الدراسات المتخصصة.

ومع تعدد المناهج المستخدمة في الاستشراق، مثل المنهج التاريخي، الاستقرائي، والذاتي، ظهرت محاولات لفهم الإسلام والعالم العربي بطرق مختلفة. ومع ذلك، فإن هذه المناهج لم

21 مرجع السابق مذكرة تخرج شهادة ليسانس، في الأدب العربي ص 5

22 مرجع السابق مذكرة تخرج شهادة ليسانس، في الأدب العربي ص 5

تخلُّ من الانتقادات، خاصة فيما يتعلق بالتحيزات الثقافية والدينية التي قد تؤثر على نتائج البحث، وفي النهاية، يمكن القول إن فلسفة الاستشراق، رغم ما تحمله من إشكاليات، تظل محاولة جادة لفهم الشرق والتفاعل مع حضارته. وهي تقدم فرصة للحوار بين الثقافات، إذا ما تمت ممارستها بموضوعية واحترام للاختلافات. كما أنها تذكرنا بأهمية التفكير النقدي والانفتاح على الآخر في سعينا لفهم العالم من حولنا.

المبحث الثالث : قراءة في فكر ادوارد سعيد

إدوارد سعيد، المفكر الأمريكي ذو الأصول الفلسطينية، ترك أثراً عميقاً في مجال الدراسات الثقافية والسياسية ، فعندما تقرأ عدداً من كتب "إدوارد سعيد"، تشعر أنك أمام مفكر يواجه إنسانيته بصدق وشجاعة، ويحاسب نفسه على اندفاعاته، ونلاحظ من خلال قراءة كتابين له حسب الترتيب الزمني أن "إدوارد" لا يتوقف عن إعادة تقييم أفكاره وتصحيح مساره. ففي كتابه «المثقف والسلطة» يقدم وصفاً دقيقاً للمثقف الباحث عن الحقيقة، ويؤكد أن دوره لا يقتصر على خدمة السلطة كخبير مستأجر لتمرير أجنداتها، ولا يعني الانحياز إلى الشعب إلى حد الذوبان في التيارات الفكرية السائدة، بهذه الدقة، يشخص إدوارد معضلة المثقف الذي يتأرجح بين ضغوط السلطة ومطالب الشعب.²³ الأهم من ذلك أنني شعرت أن هذا الوصف يمثل وقفة صادقة من إدوارد مع ذاته، حيث يعترف ببعض الهفوات التي وقع فيها في كتابه السابق "الاستشراق"، ويصححها في كتابه اللاحق "المثقف و السلطة " بل إن المثقف الحقيقي يبتكر مساراً جديداً قد يزعج السلطة والشعب معاً، ويجعله يعيش حالة من الاغتراب والمنفى، وقد يدفعه أحياناً إلى الاقتراب من السلطة، كما أنه قد تركز فكر "إدوارد سعيد" بشكل كبير على نقد السياسة الأمريكية في تعاملها مع قضايا العالم، وسخر من الأنظمة الاستبدادية التي تدعمها أمريكا أو تتعاطى معها ومع ذلك، لم يتعمق في تقديم حلول عملية تنتبثق من واقع شعوب العالم نفسها، وهذا لا يُعد عيباً في فكره، فمن الطبيعي أن يركز المفكر على القضية التي يراها أكثر إلحاحاً أو التي يشعر بأنه مؤهل لخوض غمارها. لكن إدوارد من جهة أخرى وجه سهام نقده نحو بعض التيارات النهضوية القومية، و وصفها بالراديكالية والعنصرية وضيق فهو ينتمي الى النخبة المسيحية في كل من مدينة القدس و مصر و لبنان و الولايات المتحدة ، و لكن ما يهمننا في فكر ادوارد سعيد اشهر اعماله كتابه "الاستشراق" أحدث تغييراً جذرياً في هذا المجال و قد قدم ادوارد سعيد مساهمة عميقة في نقد الاستشراق و دور المستشرقين في خدمة الانظمة السياسية

وثائقي على اليوتيوب ، " خارج النص " ، "عندما أعلن إدوارد سعيد الحرب على الاستشراق" تاريخ الاعتماد <https://www.youtube.com/watch?v=ulQTOPwpfwc> 23 سا 18:00 رابط :

و الإستعمار الغربي فقد قدم وصف كبير لسيطرة الغربية على الشرق الأوسط ، خاصة أنه عاصر تجليات النظرة الاستشراقية في وسائل الاعلام الغربية التي غطت الأحداث المهمة للعالم العربي فكان هذا دافع له للإنتلاق في محاربة الاستشراق.

لقد كان أول مقال كتبه عن العالم العربي تحت عنوان "العربي كما رسمه الغرب " إلى أن تطور هذا المقال و أصبح مشروع لكتاب الاستشراق ، فقد صرح "ادوارد سعيد" في لقاء صحفي أن تجاربه الشخصية مع هذه القضايا هي ما دفعته جزئيا لكتابة هذا الكتاب فحياة الفلسطيني العربي في الغرب و بشكل خاص في الولايات المتحدة الامريكية تبعث اليأس في النفس اذ يوجد اجماع كلي تقريبا على ان الفلسطيني غير موجود سياسيا و هذا يبين لنا التزام "إدوارد سعيد" بالدفاع عن القضية الفلسطينية وليس حربه على استشراق فحسب أضف الى ذلك انه قدم نقد للطريقة التي يتم بها تصوير الفلسطينيين ومعاملتهم في الغرب ،²⁴ و قام بإضافة فكرية لمفهوم الاستشراق عند الناس فنحن لا نبالغ إن قلنا أن مفهوم الإستشراق قد تغير عند الجميع بعد كتاب "الإستشراق" "إدوارد سعيد" للإلن "إدوارد سعيد" اعتمد على مفاهيم و تصنيفات التي اتاحت إمكانية رؤية بعض الأمور التي لم تكن واضحة في السابق و قد تمثلت في :

تحليل الخطاب : حيث قام بتشريح الخطاب الإستشراقي ، وكشف عن التحيزات الإيديولوجية و الكلمات المفتاحية التي تستخدم لتشويه صورة الشر.

كشف الأبعاد السياسية : أظهر العلاقة الوثيقة بين الإستشراق و السياسة ، و كيف تم استخدام المعرفة الإستشراقية لتبرير التدخلات الإستعمارية .

كما أنه إستطاع أن يدرس الإستشراق من عقلية غربية متخصصة ، بإعتبره درس و تشبع من الثقافة الغربية و مناهج التفكير و التحليل الغربي ، وهذا ما ساعده لفهم نظرة الغربيين للشرق ، ولتعميق فهمنا لفكر "إدوارد سعيد" ، لابد من استكشاف جذور أفكاره ومن أبرز

مصدر السابق اليوتوب ، تاريخ الإعتاد 2025/02/24 سا 19:30 رابط :

<https://www.youtube.com/watch?v=ulQTOPwfwc> ²⁴

هذه الجذور ، تأثر "سعيد" بالفكر الماركسي ، وهنا وجب أن نبين أن هناك اتفاق بين "إدوارد سعيد" و ماركس في بعض النقاط و اختلاف في نقاط أخرى ، ومن ما اتفق عليه ، النقد المادي للتاريخ حيث يتفق "سعيد" مع الماركسية في نقدها للتاريخ الرسمي ، وكشفها عن الدور الذي يلعبه الصراع الطبقي و القوى الإقتصادية في شكل المجتمعات ، و اتفق أيضا في النظرية النقدية فقد اعتمد "إدوارد سعيد" على الأدوات النقد الماركسية لتحليل الخطاب الإستشراقي ، وكشف عن دوره في خدمة المصالح الطبقية و السياسية ، "و اتفق أيضا في مفهوم الإستعمار كقوة هيكلية بمعنى أن الإستعمار ليس مجرد حدث تاريخي ، بل هو نظام هيكلي يرتكز على استغلال الموارد إلتقاء العديد إلا أن هناك اختلافات جوهرية بين "سعيد" و الماركسية التقليدية و من بينها التركيز على الهوية و الثقافية و القومية ، بينما تركز الماركسية التقليدية بشكل أكبر على صراع الطبقي ، أضف إلى ذلك النقد الثقافي ، حيث يعتبر إدوارد أن النقد الثقافي هو أداة أساسية لفهم لإستعمار و الهيمنة ، بينما تهمل الماركسية التقليدية هذا الجانب" .²⁵

ومن خلال هذه المقارنة بين فكر "إدوارد سعيد" و الفلسفة الماركسية نستطيع أن نقوم بقراءة الإستشراق حسب "إدوارد سعيد" فنقول بأن الإستشراق هو إيديولوجية برجوازية تستخدم لتبرير الهيمنة الإقتصادية و السياسية على الشعوب المستعمرة . فهو يقدم صورة مشوهة عن الشرق و يقمع الهويات الثقافية و يعزز التبعية الإقتصادية ، وبالتالي فإن تأثر "إدوارد سعيد" بالماركسية قدم لنا أداة نقدية لفهم الإستعمار و الهيمنة الثقافية ، وقد ساهم في تطوير النظريات النقدية ، وفتح أفقا جديدة للبحث و الدراسة .

"ولم تقتصر الجذور الفكرية لفكر "إدوارد سعيد" في تأثره بالفلسفة الماركسية فقط بل تأثر أيضا بالفلسفة النقدية المعاصرة ، خاصة تلك التي تركز على تحليل اللغة و السلطة و المعرفة ، فقد استخدم أدوات النقد اللغوي لتحليل الخطاب الإستشراقي و كشف عن الدور الذي وكشف عن الدور الذي تلعبه اللغة في بناء المعنى و تشكيل الوعي ، وتأثره بفكرة

مصدر السابق اليوتوب ، تاريخ الإعتدال 2025/02/24 سا 20:10 رابط :
<https://www.youtube.com/watch?v=ulQTOPwpcfvc> ²⁵

سلطة معرفة "الميشال فوكو" ، وكيف تستخدم المعرفة لتبرير الهيمنة ، و هذا لكشف التناقضات و الإفتراضات الكامنة في النصوص الإستشراقية ، ومن خلال هذا التأثير قام "إدوارد سعيد" بنقد اللغة الإستشراقية ، فقد أظهر كيف أن اللغة تستخدم لبناء صورة نمطية عن الشرق ، وكيف يتم استخدام المصطلحات و المفاهيم لتعزيز الهيمنة الغربية²⁶.

و في النهاية يمكن القول من خلال قراءة أعمال "سعيد"، أنه كان مفكراً شجاعاً، لا يخشى مواجهة ذاته وإعادة تقييم أفكاره. ففي كتابه "المتقف والسلطة"، قدم وصفاً دقيقاً لدور المثقف الذي يجب أن يكون مستقلاً، لا يخضع لضغوط السلطة ولا يذوب في تيارات الشعب السائدة. هذا الوصف يعكس وقفة صادقة مع الذات، حيث اعترف "سعيد" ببعض الهفوات التي وقع فيها في كتابه السابق "الاستشراق"، وعمل على تصحيحها في أعماله اللاحقة ، إضافة إلى ذلك، تمحور فكر "سعيد" حول نقد السياسة الأمريكية ودورها في دعم الأنظمة الاستبدادية في العالم، خاصة في الشرق الأوسط. كما وجه سهام نقده نحو بعض التيارات القومية والنهضوية، ووصفها بالراديكالية والعنصرية، مما يعكس رؤيته المتوازنة التي تسعى إلى تجاوز الثنائيات البسيطة والبحث عن حلول أكثر تعقيداً وإنسانية ، و بالتالي فإنه مفكر جمع بين النقد الثقافي والسياسي، وسعى إلى تحرير العقل من الصور النمطية والهيمنة الثقافية. لقد كان مدافعاً شرساً عن القضية الفلسطينية، وكشف عن التمييز والظلم الذي يتعرض له الفلسطينيون في الغرب و بفضل أعماله، تغير مفهوم الاستشراق بشكل جذري، وأصبح من الصعب النظر إلى الشرق بنفس النظرة الاستعمارية التي كانت سائدة في السابق.

مصدر السابق اليوتيوب ، تاريخ الإعتقاد 2025/02/24 سا 22:23 رابط :

<https://www.youtube.com/watch?v=ulQTOPwfwc&t=2s>²⁶

الفصل الثاني

الفصل الثاني : قراء في كتاب "إدوارد سعيد" "الإستشراق" ، (من الناحية الشكلية) ، (من ناحية المضمون) .

المبحث الأول : من الناحية الشكلية .

المؤلف : إدوارد سعيد .

العنوان : الإستشراق المفاهيم الغربية للشرق .

الترجمة : محمد عناني

دار النشر : الرؤية للنشر و التوزيع

البلد : مصر ، القاهرة

عدد الصفحات الكتاب : 534

سنة النشر : 2006

عدد الفصول و المباحث بالعناوين المفصلة :

الفصل الأول : نطاق الإستشراق.

1 معرفة الشرقي ص 83 .

2 الجغرافيا الخيالية وصورها : إضفاء الصفات الشرقية على الشرقي ص 110 .

3 مشروعات ص 142 .

4 الأزمة ص 169 .

الفصل الثاني : أبنية الاستشراق و إعادة بنائها .

- 1 حدود أعادوا رسمها ، و قضايا أعادوا تعريفها و دين جعلوه علمانيا ص 197 .
- 2 سلفستر دي ساسي و إرنست رينان الأنتروبولوجيا العقلانية و مختبر فقه اللغة ص 212
- 3 الإقامة في الشرق و دراسته : متطلبات تصنيف المعاجم و متطلبات الخيال ص 246 .
- 4 الحجاج و رحلات الحج من بريطانيا و فرنسا ص 281 .

الفصل الثالث : الاستشراق الآن

- 1 الاستشراق الكامن و الاستشراق السافر ص 316 .
- 2 الأسلوب و الخبرة و الرؤية : الطابع الدنيوي للاستشراق ص 351 .
- 3 الاستشراق النجلوفرنسي الحديث في أوج ازدهاره ص 394 .
- 4 آخر مرحلة ص 435 .

المبحث الثاني : قراءة في كتاب من ناحية المضمون .

أولاً : الفكرة العامة :

يقدم الكتاب تحليلاً نقدياً لظاهرة الاستشراق كحقل معرفي وسياسي وثقافي، حيث يرى "إدوارد سعيد" أن الاستشراق ليس مجرد دراسة أكاديمية بريئة عن الشرق، بل هو أداة للهيمنة استخدمها الغرب لبناء صورة نمطية عن الشرق تخدم مصالحه الإمبريالية والسياسية. من خلال تحليل تاريخي ونقدي، فيكشف للقارئ كيف أن الاستشراق قام بإنشاء "الشرق" ككيان تخيلي، مختلف تمامًا عن الغرب، وغير قادر على تمثيل نفسه، وبالتالي يحتاج إلى الغرب ليفهمه ، فالاستشراق وفقًا "للإدوارد سعيد"، هو نظام معرفي يعتمد على ثنائية بين الشرق والغرب، حيث يتم تصوير الشرق على أنه غير عقلاني، طفولي، فاسق، ومتخلف، بينما يتم تصوير الغرب على أنه عقلاني، متحضر، ومتفوق. هذه الثنائية لم تكن بريئة، بل كانت تهدف إلى تبرير الهيمنة الغربية على الشرق، سواء من خلال الاستعمار المباشر أو من خلال السيطرة الثقافية والسياسية، كما أن الكتاب يتتبع تطور الاستشراق من القرن الثامن عشر حتى القرن العشرين، ويوضح كيف أن المستشرقين، سواء كانوا أكاديميين أو سياسيين أو أدباء، ساهموا في بناء هذه الصورة النمطية عن الشرق. من خلال تحليل أعمال شخصيات مثل "كرومر" و"بلفور" و"نابليون"، يظهر "إدوارد سعيد" كيف أن الاستشراق كان جزءًا لا يتجزأ من المشاريع الاستعمارية، مثل الحملة الفرنسية على مصر، حيث تم استخدام المعرفة الاستشراقية لتسهيل السيطرة على الشرق ، أضف إلى ذلك أن الكتاب يتناول الأزمات التي واجهت الاستشراق، خاصة في القرن العشرين، حيث أصبحت الصورة النمطية عن الشرق غير قادرة على مواكبة التغيرات السياسية والثقافية في العالم. ومع ذلك، يرى المؤلف أن الاستشراق لم يختف، بل استمر في أشكال جديدة، مثل الدراسات الأكاديمية والسياسات الخارجية للدول الغربية، خاصة الولايات المتحدة.

لينتهي هذا الكتاب بتأكيد أن الاستشراق ليس مجرد ظاهرة تاريخية، بل هو نظام معرفي مستمر يعكس علاقات القوة غير المتساوية بين الشرق والغرب. و يدعونا "إدوارد سعيد" إلى إعادة النظر في هذه العلاقة، وإلى فهم الشرق من خلال منظور أكثر إنصافاً وتوازناً، بعيداً عن الصور النمطية والهيمنة الثقافية .

ثانياً : الإشكالية المركزية :

لقد تمحورت الإشكالية المركزية لكتاب الإستشراق في كيف قام الغرب، من خلال حقل الاستشراق، ببناء صورة نمطية عن الشرق تعكس علاقات القوة غير المتساوية بينهما؟ وما هي الآليات الفكرية والسياسية التي اعتمد عليها الاستشراق لخلق هذه الصورة، وكيف ساهمت هذه الصورة في تبرير الهيمنة الغربية على الشرق؟ حيث يناقش الكتاب كيف أن الاستشراق لم يكن مجرد دراسة أكاديمية بريئة، بل كان أداةً استعماريةً وفكريةً استخدمها الغرب لتمثيل الشرق ككيانٍ متخلفٍ، غير عقلاني، وطفولي، بينما صور نفسه على أنه العقلاني والمتحضر والمتفوق. هذه الثنائية لم تكن محايدة، بل كانت تهدف إلى تعزيز السيطرة السياسية والثقافية للغرب على الشرق. من خلال تحليل تاريخي ونقدي، يتساءل "إدوارد سعيد" عن تحول الاستشراق من مجرد دراسة أكاديمية إلى نظام معرفي يعكس الهيمنة الغربية؟ وكيف استخدمت الدول الاستعمارية، مثل بريطانيا وفرنسا، المعرفة الاستشراقية لتسهيل حكمها للشرق؟ وما هي الأزمات التي واجهت الاستشراق في القرن العشرين، خاصة مع صعود حركات التحرر الوطني في الشرق؟ وأخيراً، كيف يمكن فهم الاستشراق اليوم في ظل استمرار تأثيراته في السياسة والثقافة العالمية؟ هذه الإشكالية تفتح الباب أمام نقاش عميق حول دور المعرفة في خدمة السلطة، وكيف يمكن إعادة النظر في العلاقة بين الشرق والغرب بعيداً عن الصور النمطية والهيمنة الثقافية ؟

ثالثاً : الأفكار الأساسية :

الفكرة الأساسية الأولى :

الفصل الأول : نطاق الاستشراق من الصفحة (83 – 197)

الجزء الأول : "معرفة الشرقي" ، من الصفحة (83 - 110)

يقدم "إدوارد سعيد" في هذا الجزء تحليلاً نقدياً عميقاً للخطاب الاستعماري الذي شكّل صورة الشرق في المخيال الغربي ، كما يكشف أن الاستشراق لم يكن مجرد محاولة لفهم الشرق، بل كان أداة للسلطة والسيطرة، حيث تم استخدام المعرفة كوسيلة لتعزيز الهيمنة السياسية والثقافية للغرب على الشرق و هذا من خلال استحضار أفكار "ميشيل فوكو" حول العلاقة بين المعرفة والسلطة، يوضح "سعيد" أن الاستشراق لم يكن دراسة بريئة أو موضوعية، بل كان مشروعاً ثقافياً وسياسياً يهدف إلى تمثيل الشرق على أنه متخلف، وخاضع فهذا التمثيل لم يكن انعكاساً لحقيقة الشرق، بل كان بناءً ثقافياً أنتجه الغرب لتعزيز هويته ، فالشرق في هذا الخطاب أصبح مرآة تعكس الغموض، البدائية، والعنف، بينما تم تصوير الغرب على أنه النقيض المطلق: العقلانية، التقدم، والتحضر. هذا التمثيل الثنائي يعكس المركزية الأوروبية، حيث يتم تعريف الشرق من خلال ما ليس غريباً، مما يعزز فكرة تفوق الغرب حضارياً وأخلاقياً فهذه الثنائية لم تكن مجرد تصورات ثقافية، "بل كانت جزءاً من مشروع استعماري أوسع يهدف إلى تبرير الهيمنة الغربية على الشرق ، وعلى سبيل المثال في خطاب "بلفور" نرى كيف يتم تصوير الشرق ككيان غير قادر على حكم نفسه، وبالتالي يحتاج إلى التدخل الغربي لإدارته فبلفور يعتبر أن الاحتلال البريطاني لمصر ليس فقط لمصلحة مصر، بل أيضاً لمصلحة أوروبا كلها"²⁷. هذا الخطاب يعكس فكرة الرجل الأبيض (The White Man's Burden)، حيث يتم تصوير الاستعمار على أنه "مهمة حضارية" تهدف إلى "تحضير" الشرق، فهذه الفكرة تستخدم لتبرير الاستعمار كعمل إنساني وحضاري، بينما يتم تجاهل العنف والاستغلال الذي يرافق هذه الممارسات ، كما أن الأدب والفنون الغربية كما

ادوار سعيد: الاستشراق : ، ترجمة ، محمد العناني ، الطبعة الأولى 2006 ، القاهرة رؤية للنشر و التوزيع ، ص 86²⁷

يوضح "سعيد" ، لعبت دورًا محوريًا في ترسيخ هذه الصور النمطية فأعمال مثل كتاب "فلوبير ونيرفال" لم تكن مجرد انعكاسات فردية لتجاربه مع الشرق، بل كانت جزءًا من خطاب أوسع ساهم في تشكيل صورة هذه الصور لم تكن محايدة، بل كانت تعكس تحيزات ثقافية وسياسية عميقة، خدمت في النهاية أهداف الاستعمار و هنا يطرح إشكالية جوهرية هل يمكن للغرب أن يفهم الشرق بشكل موضوعي؟ الإجابة، وفقًا "لسعيد" ، هي أن أي محاولة لتمثيل الشرق من قبل الغرب ستكون مليئة بتحيزات ثقافية وسياسية فالمعرف، في هذا السياق ليست أبدًا محايدة بل هي دائمًا مرتبطة بعلاقات القوة وبالتالي الاستشراق ليس مجرد دراسة عن الشرق، بل هو أداة للهيمنة، حيث يتم استخدام المعرفة كوسيلة للسيطرة على الشرق سياسيًا وثقافيًا ، و من خلال هذا الجزء نفهم بأن "إدوارد سعيد " يدعونا إلى إعادة النظر في الخطاب الاستشراقي وفهمه ليس كمجرد معرفة، بل كجزء من مشروع سلطوي أوسع ، فهو لا ينتقد الشرق أو الغرب بشكل مباشر، بل ينتقد التمثيل المشوه الذي أنتجه الخطاب الاستشراقي، والذي شوه صورة الشرق وخدم مصالح الغرب، و نستخلص في نهاية ، "معرفة شرقي" ليست معرفة بالشرق، بل هي معرفة عن الغرب نفسه، وكيف يرى نفسه في مرآة الشرق التي صنعها بنفس .

الجزء الثاني : "الجغرافيا الخيالية وصورها : إضفاء الصفات الشرقية على الشرقي" ، من الصفحة (110-142)

في هذا الجزء المفصلي من كتاب الاستشراق، يدخل "إدوارد سعيد" إلى واحد من أكثر محاور نقده عمقًا وإثارة للانتباه "العلاقة بين التخيل والسلطة" ، "فسعيد" هنا لا يتحدث عن الشرق بوصفه كيانًا حقيقيًا تمت دراسته كما هو، بل عن صورة للشرق تم تصنيعها داخل المخيال الغربي، وتحديدًا عبر ما يسميه "الجغرافيا الخيالية" وهي ليست مجرد أوهايم، بل بناء معرفي له بنية داخلية وقوة تأثيرية هائلة، تلبس ثوب الموضوعية والعلم، بينما هي في حقيقتها محملة بالتحيزات والتصورات المسبقة ، وما يلفت الانتباه في هذا الطرح أن "سعيد" لا ينتقد فقط تمثيل الغرب للشرق، بل يذهب إلى الجذر: كيف نشأت هذه الصور؟ ومن أين جاءت هذه الأفكار المتكررة عن "الشرقي" ككسول، غامض، عاطفي، خاضع،

مثير جنسيًا أو خطر سياسيًا؟ سعيد يكشف أن هذه ليست مجرد مشاعر أو آراء فردية، بل هي عناصر ضمن منظومة متكاملة من التمثيل، تسمح للغرب ليس فقط بأن يرى الشرق بطريقة معينة، بل بأن يحتكر شرعية هذا الوصف ، و في هذا الإطار، الجغرافيا ليست دراسة للمكان، بل إعادة إنتاجه في الخيال الغربي بطريقة تجعله دائمًا "آخر"، دائمًا مختلف، ودائمًا دوني فالصحراء مثلًا، لا تُقدّم كواقع طبيعي بل كمجاز للفراغ والعزلة واللاعقلانية والنساء لا يُعرضن كجزء من بنية اجتماعية معقّدة، بل كرمز جنسي دائم الإثارة والاستدعاء ، واللغة العربية بدل أن تُدرّس كمنظومة لغوية ذات تاريخ وثراء، تُقدّم كرموز غامضة تُقرأ وكأنها تعبير عن عقل شرقي غير عقلائي ، ما يفعله "سعيد" هنا بمهارة هو أنه يبيّن كيف يُجبر الشرقي، بشكل غير مباشر، على تمثيل الدور الذي كُتب له في الخيال الغربي ، فالشرقي لا يُرى كما هو، بل كما يتوقّع الغرب أن يكون ، هذه العملية التي تتكرر في الأدب، والرحلات، والرسم، والأكاديميا لا تنتقل الواقع، بل تخلقه ، ومن ثم فإن "الشرقي" يصبح كائنًا محاصرًا في صورة نمطية مُعدّة مسبقًا، تُخفي تنوّعه وتعقيده، وتُحوّله إلى مادة طيّعة في يد الثقافة الغربية ، و الخطير في هذه الصور أنها تُبنى غالبًا على تناقضات، لكنها تُقدّم بثقة تامة ، فالشرقي يُصوّر كضعيف وخطير في الوقت نفسه، خاضع وعنيد، ساذج وماكر، متخلف ولكن يحمل نوعًا من السحر الغامض ، فهذه الازدواجية ليست بريئة، بل تعكس حاجة الغرب إلى اختراع شرق يحمل كل ما يريد التخلص منه أو السيطرة عليه ، في عمق هذا النقاش، يُسلّط سعيد الضوء على مفهوم التمثيل كفعل سياسي بامتياز فالغرب لا يكتفي بملاحظة الشرق، بل يمثّله، أي يتحدث نيابةً عنه، يضعه في إطار معين، ويجعل منه موضوعًا للفهم والحكم، ولأن هذا التمثيل يصدر من موقع قوة سواء كانت أكاديمية أو سياسية أو عسكرية ، فإنه يتحول إلى حقيقة راسخة، لا لأن الواقع يفرضها، بل لأن القوة تُكرّسها ، و بهذا المعنى، فإن الجغرافيا الخيالية ليست مجرد خطأ في الفهم أو تضخيم لبعض الفوارق، بل هي آلية من آليات الهيمنة إنها تتيح للغرب أن يفهم نفسه باعتباره عقلائيًا، حرًا، متطورًا، عبر نقيضه الشرقي ، "و يتحدث "إدوارد سعيد" أيضا بشكل مطوّلًا عند الكيفية التي تم بها تمثيل النبي محمد □ في الخطاب الغربي، خصوصًا في كتابات المستشرقين، حيث لا يقدّم سعيد هذا التمثيل على أنه مجرد تحامل عفوي أو ناتج عن جهل، بل يراه جزءًا

من بنية فكرية متكاملة عملت على "اختراع الشرق" بما يتناسب مع موقع الغرب كقوة مهيمنة. ففي نظر هؤلاء الكتّاب، لم يكن النبي شخصية تاريخية أو دينية قابلة للفهم ضمن سياقها، بل تحوّل إلى رمز معكوس يُسقط عليه كل ما هو "لا غربي": دجل، عنف، شهوة، ولا عقلانية فهذه الصورة المشوهة، التي تعود جذورها إلى العصور الوسطى، استمرت وتطورت لتُوظّف لاحقاً في سياق الاستعمار، كمبرر للهيمنة والسيطرة تحت ذريعة التفوق الحضاري، حيث أن "سعيد" لا يكتفي برصد هذه التمثيلات، بل ينقضها من أساسها، مبرزاً كيف أن المستشرقين لم يدرّسوا النبي والإسلام بموضوعية، بل عبر عدسة ثقافية وإيديولوجية مشحونة بالحكم المسبق، خدمت سردية تفوق الغرب وتخلف الشرق. وهكذا، يصبح تشويه شخصية النبي جزءاً لا يتجزأ من مشروع أكبر، يسعى إلى نزع الشرعية عن حضارة بأكملها، عبر تشويه مركزها الرمزي والروحي²⁸..

الجزء الثالث : "مشروعات" ، من الصفحة (142- 169)

يكشف "إدوارد سعيد" في هذا الفصل كيف أن المعرفة لم تكن يوماً محايدة، بل كانت على الدوام جزءاً من منظومة السلطة، تعمل على ترسيخ الهيمنة وإنتاج التصورات التي تخدمها. وفي جزء "مشروعات"، يسلط الضوء على البنية التحتية للاستشراق بوصفه مشروعاً ممتدّاً عبر التاريخ، لم يكن مجرد نتاج فضول أكاديمي أو رغبة في المعرفة، بل كان أداة فاعلة في تشكيل العلاقة بين الشرق والغرب، علاقة لم تتأسس على التبادل الثقافي بقدر ما تأسست على السيطرة وإعادة إنتاج خطاب التفاوت الحضاري فالاستشراق

"لم يكن مجرد مجموعة من الدراسات والبحوث التي حاولت فهم المجتمعات الشرقية، بل كان مشروعاً مرتبطاً بالمؤسسات الاستعمارية التي سعت إلى تسخير هذه المعرفة في خدمة أهدافها التوسعية فحينما درس المستشرقون لغات الشرق، لم يكن ذلك بدافع المعرفة فحسب، بل ليتمكنوا الإدارات الاستعمارية من فرض قوانينها والتواصل مع الشعوب الخاضعة لها بطريقة تجعل السيطرة أكثر وحينما صور الفنانون والأدباء الشرق بوصفه كفضاء غريب

ادوار سعيد: الاستشراق : ، ترجمة ، محمد العناني ، مرجع السابق ، ص 125، 128²⁸

غارقًا في الخرافة والانحطاط، فلم يكن ذلك محض إبداع فردي، بل كان جزءًا من بناء تصور ثقافي يجعل من التدخل الغربي ضرورة أخلاقية وسياسية ، وإذا كان الاستشراق قد بدأ في ظل الاستعمار التقليدي، فإنه لم ينته بانتهائه، بل استمر بأشكال جديدة، في الخطاب الإعلامي،²⁹ في السياسات الدولية، في النظرة إلى الشرق كفضاء للأزمات، كأرض تحتاج دائمًا إلى تدخل خارجي يضعها على "المسار الصحيح" فلم تعد السيطرة اليوم عسكرية بالضرورة، لكنها تستمر عبر أدوات أكثر تعقيدًا، من خلال المؤسسات الدولية، والأكاديميات، والسينما، والإعلام، حيث يُعاد تدوير الصور النمطية ذاتها التي رسخها الاستشراق الكلاسيكي، وإن كان في سياقات وأطر جديدة. ، والسؤال الذي يطرحه "سعيد"، وإن لم يكن بصيغة مباشرة، هو: هل يمكن للشرق أن ينتج معرفة عن ذاته خارج هذا الإطار الاستشراقي؟ هل يمكنه أن يتحرر من كونه مجرد موضوع يُدرس ليصبح ذاتًا فاعلة في إنتاج المعرفة؟ إن تجاوز الاستشراق لا يكون فقط بنقده، بل بإنتاج معرفة بديلة، معرفة لا تعيد اجترار ثنائية الشرق/الغرب، بل تفككها وتعيد تشكيل العلاقة بينهما على أسس جديدة .

الجزء الرابع : "الأزمة" ، من الصفحة (169 – 197)

لقد شهد القرن العشرون بروز أزمة حقيقية داخل الخطاب الاستشراقي، حيث بدأت فرضياته تتعرض للتفكيك من قبل مفكرين شرقيين وغربيين على حد سواء و هذا مع انهيار الاستعمار التقليدي، واستقلال الدول الشرقية، وصعود تيارات نقدية جديدة، لم يعد الاستشراق قادرًا على الاستمرار بنفس القوة والهيمنة، لأن الشرق بدأ في إنتاج سردياته الخاصة عن نفسه، رافضًا أن يكون مجرد موضوع سلبي للدراسة والتحليل من قبل الغرب ، كما أن التطورات داخل الأكاديمية الغربية نفسها، وصعود مدارس فكرية مثل ما بعد الحداثة وما بعد الاستعمار، ساهمت في كشف تواطؤ الاستشراق مع السلطة، مما أدى إلى فقدانه لاحتكاره للمعرفة، وتحوله من خطاب مهيم بلا منازع إلى خطاب متنازع عليه، يتعرض للنقد والتفكيك المستمر فهذه الأزمة رغم أنها لم تقض على الاستشراق تمامًا، إلا أنها أجبرته على إعادة إنتاج نفسه في أشكال جديدة، حيث بدأ يتبنى لغة أكثر دبلوماسية، ويستقطب أصواتًا

ادوار سعيد: الاستشراق : ، ترجمة ، محمد العناني ، مرجع السابق ، ص 157 ، 161²⁹

شرقية داخل مؤسساته، لكنه في جوهره لا يزال يخدم نفس الفرضيات القديمة حول الشرق بوصفه فضاءً للأزمات، يحتاج دائماً إلى تدخل غربي لحل مشاكله فعلى الرغم من تغير الشكل، إلا أن الجوهر الاستشراقي لا يزال حاضراً في الإعلام، في السياسات الخارجية، وفي طريقة تقديم الشرق داخل الخطاب الغربي الحديث، مما يعني أن تفكيك الاستشراق لا يزال معركة قائمة، تتطلب إنتاج معرفة بديلة عن الشرق، لا تستند إلى الصور النمطية التي فرضها الغرب، بل تعكس واقعه كما هو، بصوته الخاص، وبمنظور مستقل عن الهيمنة الغربية حيث أن هذه لأزمة التي أصابته في العقود الأخيرة كشفت هشاشته، وأثبتت أن الشرق لم يعد ذلك الكيان السلبي الذي يُعاد تشكيله من الخارج، بل أصبح فاعلاً قادراً على إنتاج روايته الخاصة عن نفسه، مما يفتح المجال أمام علاقة جديدة بين الشرق والغرب، لا تقوم على التبعية، بل على التفاعل المتكافئ والحوار العادل. لكن هذا التحول لا يزال بعيداً عن التحقق بشكل كامل، إذ لا يزال العالم يعيد إنتاج الخطاب الاستشراقي بطرق حديثة، مما يجعل المعركة الفكرية ضد الاستشراق معركة ممتدة، تتطلب وعياً نقدياً مستمراً، وقدرة على تجاوز الخطابات المفروضة، واستعادة القدرة على تعريف الذات بعيداً عن النظرة التي فرضها الآخر.

الفكرة الأساسية الثانية :

الفصل الثاني : "أبنية الإستشراق و إعادة بنائها" ، من (197 – 314)

الجزء الأول : "حدود أعادوا رسمها ، وقضايا أعادوا تعريفها ، و الدين جعلوه علمانيا " ، من الصفحة (197 – 213)

في هذا الجزء تحديداً، يلمس "إدوارد سعيد" جوهر مشروعه النقدي كيف تم تصنيع "الشرق" معرفياً قبل أن يُحتل جغرافياً فهو لا يتحدث هنا عن مجرد تشويه لصورة الشرق، بل عن عملية معقدة من إعادة تشكيله بالكامل "فسعيد" لا يكتفي بوصف كيف نظر الغرب إلى الشرق، بل يتتبع كيف أعاد الغرب اختراع هذا "الشرق" بطريقة تخدم مصالحه.

أولاً: الحدود التي أُعيد رسمها :

"حين يقول "سعيد" إن الحدود أُعيد رسمها، فهو لا يقصد فقط الخرائط السياسية التي أعادت الدول الاستعمارية توزيعها كما يخلو لها، بل يقصد كذلك الحدود الرمزية التي صاغها الخطاب الاستشراقي بين "نحن" و"هم" ، فالخطورة هنا ليست في أن هناك شرقاً وغرباً فقط، بل في الطريقة التي جرى فيها اختزال الشرق إلى شيء يمكن حصره و تسميته و فهمه وامتلاكه ، و هذا لا يحصل فقط عبر الجغرافيا، بل من خلال اللغة والنظرة والفكرة المسبقة ، بمعنى آخر لم يُرَ الشرق كما هو، بل كما احتاجه الغرب أن يكون"³⁰ ، و بالتالي ما فعله الاستشراق هو أنه خلق شرقاً يتوافق تماماً مع الحاجة إلى السيطرة و التبرير والتميز الأخلاقي والحضاري فالحدود التي رُسمت لم تكن مجرد خطوط، بل كانت سرديات تُبنى فوقها تصورات كاملة عن الإنسان الشرقي، تاريخه، مكانه، وما "يستحقه".

ثانياً : إعادة تعريف القضايا :

يذهب "إدوارد سعيد" هنا إلى أبعد من الحديث عن الصورة العامة، ويتعمق في التفاصيل: كيف جرت إعادة تعريف مشكلات الشرق بدلاً من التعامل مع القضايا السياسية والاجتماعية كتعبير عن صراعات داخلية أو تعقيدات تاريخية، تم اختزالها إلى أعراض "تخلف" و"جمود". وبهذا، تتحوّل المآسي الحقيقية إلى مجرد علامات على "طبيعة شرقية" مفترضة ، والأخطر من ذلك، أن هذه الطريقة في التفكير تمنح الغرب شرعية التدخل فطالما أن مشاكل الشرق نابعة من "عجزه البنيوي"، يصبح من المنطقي بل من الواجب الأخلاقي أن يتدخل الغرب ليصلح الأمور، أو بالأحرى ليشكّل الشرق وفق صورته هو ، و باتالي الاستشراق هنا لا يصف فقط، بل يُبرر، ويمنح الغزو والاستعمار غطاء معرفياً وإنسانياً زائفاً، ثم ينتقل سعيد بعد ذلك إلى تفكيك الطريقة التي أعاد بها الاستشراق تعريف القضايا السياسية والاجتماعية في الشرق ، فبدلاً من فهم هذه القضايا في سياقها المحلي، وتاريخها المعقّد، قام الخطاب الاستشراقي بإعادة تأطيرها من منطلقات غربية، جاعلاً من التخلف

ادوار سعيد: الاستشراق : ، ترجمة ، محمد العناني ، مرجع السابق ، ص 209 ، 212³⁰

واللاعقلانية والجمود سمات أصيلة للمجتمعات الشرقية ، وهكذا أصبحت الصراعات السياسية مثل الثورات أو النزاعات القومية مجرد علامات على "فوضى شرقية"، وتُقرأ المشكلات الاجتماعية من زاوية "عجز" البنية الثقافية للشرق عن اللحاق بركب الحداثة ، و هذا التفسير لا يكتفي بتشويه الواقع، بل يضيف على الغرب دورًا خلاصيًا، باعتباره الجهة القادرة على فهم هذه القضايا و"حلّها"، مما يرسخ صورة الغرب كمصدر للمعرفة والسلطة، والشرق ككائن عاجز ينتظر التوجيه ، و بالتالي تحليل "سعيد" هنا عميق لأنه لا يكتفي بنقد محتوى الخطاب، بل يتتبع بنية النظر ذاتها ، كيف ينظر الغرب إلى الشرق؟ ومن أين تتبع شرعية هذه النظرة؟ وكيف يتم التلاعب بالقضايا الأصلية عبر خطاب يدّعي الموضوعية بينما هو غارق في تحيّزاته؟

ثالثًا: الدين جعلوه علمانيًا :

هذا القسم من النص فيه قدر عالٍ من الحساسية والعمق حيث يظهر لنا "سعيد" كيف تعامل الغرب مع الدين في الشرق ليس كقيمة أو منظومة ثقافية عميقة، بل كمشكلة ، فالدين في المجتمعات الشرقية كما يشير "سعيد" ليس مجرد معتقد شخصي، بل جزء حي من النسيج الاجتماعي والهوية الجماعية و إن تحويله إلى موضوع علماني يعني، ببساطة، نزع معناه الحقيقي وتحويله إلى كائن يمكن السيطرة عليه فكريًا ، وهذا ليس مجرد تفسير، بل هو في حد ذاته نوع من العنف الرمزي ، بمعنى أن تأخذ ما هو حي، معقد، متجذر، وتُخضعه لقواعد خارجية وكأن الدين لا يمكن فهمه إلا إن تم تفكيكه بنفس الأدوات التي يستخدمها الغرب لتفسير العالم ، وهكذا مرة أخرى، يُرسم الشرق لا كما هو، بل كما يجب أن يكون وفق المنطق الغربي .

الجزء الثاني : "سلفستردى ساسى" و "إرنست رينان" : الأنثروبولوجيا العقلانية و
مختبر اللغة ، من الصفحة (212-246)

يقدم "إدوارد سعيد" في هذا الجزء تحليلاً نقدياً عميقاً لدور هاتين الشخصيتين في تشكيل الخطاب الاستشراقي خلال القرن التاسع عشر من خلال دراسة أعمال "سلفستردى ساسى" و"إرنست رينان"، "يكشف سعيد كيف تم استخدام الأنثروبولوجيا العقلانية ودراسة اللغة كأدوات لتعزيز الهيمنة الغربية على الشرق فيبدأ بتحليل دور "ساسى"، الذي يُعتبر أحد مؤسسي الاستشراق الأكاديمي، حيث قام بدراسة اللغة العربية والثقافة الإسلامية بشكل منهجي ومع ذلك، يرى سعيد أن عمل "ساسى" لم يكن محايداً، بل كان يهدف إلى خدمة المصالح الاستعمارية فمن خلال دراسة اللغة العربية والثقافة الإسلامية بشكل و هذا التصوير يعزز فكرة أن الشرق يحتاج إلى التدخل الغربي لتحضره ، ثم ينتقل "سعيد" إلى تحليل أعمال "إرنست رينان"، الذي استخدم الأنثروبولوجيا العقلانية لدراسة الشرق، معتبراً أن العقلانية هي سمة غربية بحتة وهذا وفقاً لرينان، فالشرق يفتقر إلى العقلانية، وبالتالي فهو متخلف. كما اعتبر رينان اللغة العربية لغة بدائية وغير قادرة على التعبير عن الأفكار المعقدة، مما يعزز فكرة أن الشرق غير قادر على التطور الفكري بالإضافة إلى ذلك، كان "رينان" يؤمن بتفوق العرق الغربي على العرق الشرقي، وهو اعتقاد يعكس التحيزات العرقية التي كانت جزءاً من الخطاب الاستشراقي الأوسع ، فهذا الخطاب كما يوضح "سعيد" لم يكن مجرد تشويه لصورة الشرق، بل كان جزءاً من مشروع استعماري أوسع يهدف إلى تعزيز الهيمنة الغربية. فمن خلال تصوير الشرق على أنه كيان متخلف وغير قادر على إدارة شؤونه، تم تبرير الاستعمار كوسيلة لتحضر الشرق. هذا التشويه لم يقتصر على القرن التاسع عشر، بل استمر في التأثير على صورة الشرق ، حيث لا تزال هذه الصور النمطية الاستشراقية موجودة في الخطاب السياسي والإعلامي الغربي ، ثم يدعو "سعيد" إلى نقد هذا الخطاب وفهم السياقات التاريخية والسياسية التي شكلته فهو يؤكد على ضرورة إنتاج معرفة جديدة عن الشرق تكون أكثر إنصافاً وتحرراً من التحيزات

الاستعمارية، إذ يعتبر أن تحرير الشرق من الصور النمطية يتطلب جهداً فكرياً وسياسياً كبيراً³¹، حيث يجب إعادة بناء الخطاب حول الشرق بشكل يعكس تنوعه وتعقيده الحقيقي بعيداً عن الرؤية الاستشراقية المشوهة.

الجزء الثالث : "الإقامة في الشرق و دراسته - متطلبات تصنيف المعاجم و متطلبات الخيال" ، من الصفحة (246 - 271)

يقدم إدوارد "سعيد" تحليلاً نقدياً عميقاً "لكيفية قيام المستشرقين بدراسة الشرق من خلال الإقامة فيه واستخدام أدوات مثل تصنيف المعاجم والخيال الأدبي حيث يبدأ سعيد بالإشارة إلى أن الإقامة في الشرق كانت تُعتبر وسيلة لتحقيق فهم أعمق للشرق، حيث أقام العديد من المستشرقين لفترات طويلة لدراسة لغاته وثقافته ومع ذلك، يرى "سعيد" أن هذه الإقامة لم تكن محايدة، بل كانت مشبعة بالتحيزات المسبقة والأجندات الاستعمارية فالمستشرقون، رغم إقامتهم في الشرق، ظلوا ينظرون إليه من خلال عدسة غربية تعكس تفوقهم الحضاري، مما أدى إلى تشويه صورة الشرق وتصويره ككيان متخلف يحتاج إلى الإنقاذ من قبل الغرب ، ثم ينتقل إلى تحليل و تصنيف المعاجم، حيث يوضح أن المستشرقين قاموا بتصنيف معاجم اللغات الشرقية مثل العربية والفارسية، ليس فقط لفهم هذه اللغات، ولكن أيضاً كأداة للسيطرة على الشرق من خلال "فك رموزه". فمن خلال دراسة اللغة، حاول المستشرقون فهم الثقافة الشرقية، بالإضافة إلى ذلك يتناول متطلبات الخيال الأدبي، حيث يشير إلى أن المستشرقين استخدموا الخيال الأدبي لتمثيل الشرق في أعمالهم فالأدب الاستشراقي، بما في ذلك رحلات المستشرقين ورواياتهم، كان مليئاً بالصور النمطية التي تصور الشرق كفضاء غريب ومثير، مليء بالغموض والخطر هذا التصوير يعزز فكرة أن الشرق مختلف وغير قابل للفهم إلا من خلال عدسة غربية وبالتالي الخيال الأدبي في هذا السياق لم يكن مجرد وسيلة للتعبير الفني، بل كان أداة قوية لتشكيل صورة الشرق وفقاً لرؤية غربية تعكس التفوق الحضاري للغرب ، فهذا التشويه لم يقتصر على القرن التاسع عشر، بل استمر في التأثير

ادوار سعيد: الاستشراق : ، ترجمة ، محمد العناني ، مرجع السابق ، ص 226 ، 229 31

على صورة الشرق في العصر الحديث"³²، حيث لا تزال الصور النمطية الاستشراقية موجودة في الخطاب السياسي والإعلامي الغرب .

الجزء الرابع : "الحجاج و رحلات الحج من بريطانيا و فرنسا" ، من الصفحة (281-316)

يقدم "إدوارد سعيد" تحليلاً فلسفياً وثقافياً عميقاً لظاهرة الرحلات الاستشراقية، "مستخدماً استعارة "الحجاج" كمدخل لفهم العلاقة المعقدة بين الشرق والغرب بحيث أن هذه الاستعارة ليست مجرد تشبيه بلاغي، بل هي أداة تحليلية تكشف عن الطبيعة المقدسة التي أضفاها المستشرقون على رحلاتهم، حيث تحول الشرق إلى فضاء غامض ومجهول، أشبه بالأرض مقدسة تحتاج إلى اكتشاف وفك رموزها من قبل الغرب فيصبح الشرق ليس مجرد مكان جغرافي، بل مشروعاً فكرياً وثقافياً يعكس رغبات الغرب ومخاوفه في آن واحد إذ يوضح أن هذه الرحلات لم تكن بريئة أو محايدة، بل كانت جزءاً من مشروع أوسع لبناء خطاب استشراقي يعيد تشكيل الشرق وفقاً لتصورات الغرب فالشرق في هذه النصوص، يُصور كآخر غريب، متخلف، ومليء بالأسرار التي تحتاج إلى فك رموزها من قبل العقل الغربي المتفوق هذه الصورة النمطية لم تكن مجرد انعكاس للواقع، بل كانت أداة سياسية وثقافية لتبرير الهيمنة الاستعمارية. فالمعرفة التي أنتجها المستشرقون، كما يرى سعيد، لم تكن منفصلة عن السلطة، بل كانت جزءاً لا يتجزأ من آليات السيطرة والهيمنة ، كما أنه يلاحظ أن هناك اختلافات بين الاستشراق "البريطاني" و "الفرنسي"، حيث كان البريطانيون، بحكم إمبراطوريتهم الواسعة أكثر اهتماماً بالجوانب العملية والسياسية للشرق بينما الفرنسيون وخاصة بعد الثورة الفرنسية، كانوا أكثر انشغالاً بالجوانب الثقافية والفلسفية ومع ذلك، يشير "سعيد" إلى أن كلا النموذجين كانا جزءاً من نفس الخطاب الاستشراقي الذي سعى إلى تأكيد تفوق الغرب على الشرق و هذه الاختلافات على الرغم من وجودها، لم تكن سوى تعبيرات مختلفة لنفس الإيديولوجيا التي رأت في الشرق موضوعاً للدراسة والسيطرة

ادوار سعيد: الاستشراق : ، ترجمة ، محمد العناني ، مرجع السابق ، ص 247 ، 260 ³²

، فمن الناحية الفلسفية، يمكن النظر إلى هذه الرحلات الاستشرافية كجزء من مشروع الحداثة الغربية، الذي سعى إلى فرض رؤية عالمية أحادية، حيث يكون الغرب هو مركز المعرفة والحضارة³³، بينما يُختزل الشرق إلى مجرد موضوع للدراسة والتحليل فهنا، يصبح الشرق ليس فقط "آخرًا" جغرافيًا، بل "آخرًا" وجوديًا، يعكس رغبة الغرب في تأكيد ذاته من خلال نفي الآخر فهذه العملية، كما يوضح لنا "سعيد"، لم تكن مجرد تشويه لصورة الشرق، بل كانت أيضًا تشويهًا لصورة الغرب نفسه، حيث تحولت المعرفة إلى أداة للسيطرة بدلًا من أن تكون وسيلة للفهم والحوار.

الفكرة الأساسية الثالثة :

الفصل الثالث : الاستشراق الآن (316- 435)

الجزء الأول : "الإستشراق الكامن و الإستشراق السافر" ، من الصفحة (316 – 351)

تطرق "إدوارد سعيد" في هذا الجزء إلى قلب البنية العميقة "التي تنتج الخطاب الغربي عن الشرق، كاشفًا عن طبقتين متداخلتين في هذا الخطاب: الأولى ظاهرة وسافرة، تُرى في الكتب والمقالات والأعمال الفنية التي تصف الشرق بشكل مباشر؛ والثانية كامنة وخفية، تشكل النمط العقلي الذي يُبنى عليه هذا الوصف، وتضبط آليات التفكير فيه دون وعي صريح من منتجيه. إن ما يطرحه "سعيد" هنا ليس مجرد نقد لمحتوى ثقافي مشوّه، بل تفكيك لأفق معرفي برمته، حيث لا يتم تعريف "الشرق" لذاته، بل بوصفه نقيضًا وظيفيًا للذات الغربية المتضخمة، أي بوصفه "آخرًا" ضروريًا لتعزيز مركزية الغرب نفسه، كما أن هذا النظام لا يعتمد على أدلة موضوعية بقدر ما يقوم على ثنائية ميتافيزيقية تقسم العالم إلى "نحن" و"هم"، "عقل" و"عاطفة"، "تحضر" و"تخلف". فهذه الثنائية تشكل ما أسماه "جاك

ادوار سعيد: الاستشراق : ، ترجمة ، محمد العناني ، مرجع السابق ، ص 271 ، 277 ³³

ديريدا "ب"ميتافيزيقا الحضور"، حيث يتم تثبيت الغرب كمرکز مطلق للمعنى، وكل ما عداه يُحذف أو يُشوّه أو يُقصى. من هنا، لا يمكن قراءة الاستشراق كحقل معرفي محايد، بل كآلية سلطة، خطاب ينتج معرفة ليخدم الهيمنة، في تكرار شبه طقوسي يحوّل الشرق إلى مشهد متخيل، لا يتغير إلا داخل الحدود التي يرسمها الغرب نفسه و بالتالي فإن "سعيد" لا يدين فقط محتوى هذا الخطاب، بل يشكك في أسسه الأبتمولوجية ذاتها، مُبرزًا كيف أن اللغة، بدل أن تصف الواقع، تخلقه ضمن شروط تاريخية – استعمارية، بحيث تصبح المعرفة نفسها ضربًا من العنف الرمزي، و في ضوء هذا التحليل، يتحول الاستشراق من كونه ظاهرة ثقافية إلى بنية فلسفية، تكشف كيف تُنتج الذات الغربية تصورها عن نفسها من خلال نفي الآخر، ليس بدافع الفهم بل بدافع السيطرة وهذه البنية، وإن تبدت في أشكال مختلفة، إلا أنها تتغذى من إرادة القوة "النييتشوية"، حيث تسعى المعرفة إلى امتلاك موضوعها وتحويله إلى شيء قابل للضبط والإخضاع.

وبالتالي فما يقدمه "سعيد" هنا هو نقد مزدوج: للخطاب وللذات المنتجة للخطاب، نقد يعري تمركز الذات الغربية حول ذاتها، ويعيد الاعتبار لفكرة الآخر بوصفه كائنًا لا يمكن اختزاله في صور مسبقة. بهذا، يصبح هذا الفصل من كتاب الاستشراق دعوة فلسفية عميقة إلى مساءلة الحدود بين المعرفة والسلطة، بين التمثيل والواقع، وبين من يملك القول ومن يُقال عنه، وهو ما يجعل "سعيد" ليس مجرد ناقد أدبي بل مفكرًا من طينة من يعيدون رسم الخريطة المعرفية للعالم من جذورها³⁴.

الجزء الثاني : الأسلوب والخبرة و الرؤية : "الطابع الدنيوي للإستشراق" ، من الصفحة (394 -351) .

يكمل "إدوارد سعيد" في تعميق ضربته النقدية للاستشراق، منتقلًا من كشف البنية الخطابية المجردة إلى تتبّع تجلياته الأكثر حياة وملامسة للواقع، في "الأسلوب والخبرة والرؤية، حيث لم يعد الاستشراق، في هذا القسم، مجرد نظرية أو خطاب نخبوي، بل يتجسد كنشاط إنساني

ادوار سعيد: الاستشراق : ، ترجمة ، محمد العناني ، مرجع السابق ، ص 319 ، 326 ³⁴

دنيوي، يكتب ويتكلم ويتخيل ويمارس سلطته من موقع محدد في العالم، في سياق تاريخي مشبع بالتوتر الإمبريالي وبالطموح المعرفي الملتبس، فالأسلوب، بالنسبة "السعيد"، ليس مجرد زخرفة لغوية أو اختلاف في الطرح، بل هو البصمة العميقة التي تكشف عن تموضع الكاتب داخل شبكة السلطة والمعنى، تمامًا كما نظر إليه نيتشه أو هايدغر؛ إنه الطريقة التي تُصاغ بها الرؤية، وتُخزن فيها المواقف والتصنيفات والانحيازات. لذلك لا ينفصل الأسلوب في الكتابة الاستشراقية عن بُنية السيطرة، بل هو أحد أبرز أدواتها وأكثرها خفاءً: طريقة السرد، نبرة التفوق، والعين المتعالية التي تُصوّر الشرق كمكان متخلف، ساكن، يحتاج إلى الغرب ليفهم أو يُحرّك، ومن هنا ينتقل "السعيد" إلى مناقشة مفهوم "الخبرة"، التي تبدو في ظاهرها دليلاً على المعرفة الحقيقية، لكنها في واقع الحال، حسب تحليله، خبرة مُشكّلة مسبقاً، محكومة بتوقعات ثقافية وإيديولوجية تغلف التجربة وتحوّلها إلى تأكيد لما هو مفترض سلفاً. الخبرة، في هذا السياق، لا تأتي من التفاعل الحقيقي مع الآخر، بل من الرغبة في تثبيت صورة نمطية عنه، وهذا يقود إلى البعد الثالث، الأكثر تجذراً: "الرؤية"، التي لا تُفهم هنا كفعل بريء أو محايد، بل كأداة تنظيم للعالم وفق ثنائيات متوارثة: شرق، غرب، متخلف، متقدم، عاطفي، عقلائي..، إنها رؤية محكومة بما يشبه منطق التقنية عند "هايدغر"، الذي يجعل كل شيء قابلاً للتصنيف والاستخدام، حتى الإنسان³⁵، لكن جوهر أطروحة "السعيد" هنا يتبلور في تأكيده على "دنيوية" الاستشراق أي أنه ممارسة واقعية، متجذرة في المؤسسات، في الجامعات، في السياسات، في تمويلات البحث، في التوسع الاستعماري بحيث أن الاستشراق ليس خطاباً عائماً في فضاء المثقفين، بل هو جزء من ماكينة تاريخية أنتجت معرفة لتخدم الغزو، وصاغت صورة الآخر لتبرير الهيمنة عليه وهو ما يجعل هذا التحليل يقف ضد كل نزعة تفصل بين الثقافة والسياسة، أو تُقدّم المعرفة كأنها منتج محايد فوق التاريخ فما يفعله "السعيد" هنا هو مساءلة مزدوجة: لا فقط لما يُقال عن الشرق، بل للكيفية التي يُقال بها، وللأشخاص الذين يملكون حق القول، وللظروف التي تجعل من القول نفسه سلطة حيث يُعيدنا إلى سؤال جوهرى: ما مسؤولية الذات حين تكتب عن الآخر؟ وهل

ادوار سعيد: الاستشراق : ، ترجمة ، محمد العناني ، مرجع السابق ، ص 355 ، 360³⁵

يمكن أن تكون هناك كتابة لا تتورط في الاستعلاء؟ بهذا المعنى، لا يصبح كتاب الاستشراق مجرد نقد للتمثيلات، بل يصبح محاولة أخلاقية وفلسفية لإعادة التفكير في الذات الغربية، في موقعها، وفي طريقة وجودها في العالم عبر المعرفة، والكلمة، والتخيل .

الجزء الثالث : "الاستشراق الأنجلوفرنسي الحديث في أوج ازدهاره" ، من الصفحة (394)

(435 -

في هذا الجزء يرسم "إدوارد سعيد" "لوحة مكثفة لذروة الاستشراق الحديث الأنجلوفرنسي، لا بوصفه مجرد لحظة غزارة إنتاج ثقافي، بل كمرحلة تاريخية تمّ فيها إحكام بناء خطاب كامل يُخضع الشرق لمنطق التمثيل الغربي، معرفيًا وسياسيًا، بشكل لم يعد فيه الشرق قادرًا على أن يكون إلا كما يُصاغ له أن يكون بمعنى أنه لم يعد الشرق، هنا، موضوعًا للدهشة أو الاكتشاف، بل بات عنصرًا مدروسًا، قابلاً للترقيم والتصنيف والتحليل، مطبوعًا بلغة علمية ظاهرها الحياد وباطنها الهيمنة فلقد اجتمعت، في هذه المرحلة، مؤسسات القوة، من جامعات ومراكز بحث وحكومات، لتجعل من خطاب الاستشراق دعامة معرفية أساسية للمشروع الإمبريالي، حيث أصبحت اللغة أداة للسيطرة، والتاريخ وسيلة للمحو، والعلم غطاءً لتجميل الهيمنة ، و في هذا السياق، لا يظهر المستشرق الحديث بوصفه مثقفًا حائرًا أمام غرابة الآخر، بل كخبير متمرس، يمتلك نبرة اليقين، يتحدث من مركز، لا من مسافة، ويكتب عن الشرق كما يُكتب تقرير إداري عن منطقة يجب فهمها للسيطرة عليها. وما يبدو علميًا أو أكاديميًا في ظاهره، ليس إلا خطابًا مشبعًا بالحكم المسبق، مغلفًا بزينة التحليل المنهجي. فـ"التمثيل" هنا، كما يتضح من تحليل "سعيد"، ليس نقلًا لواقع، بل إنتاجًا له وفق مقاييس السلطة الغربية. وهكذا يُعاد خلق الشرق على الورق، لا كما هو، بل كما يجب أن يُقدّم لكي يُضبط: كائنٌ عاطفي، خارج عن المنطق، محكوم بماضيه، ثابت لا يتطور ، " 36 أضف إلى ذلك أن ما يُضفي على هذا الخطاب بعده الخطر هو تلك المفارقة الدقيقة التي يحللها سعيد:

ادوار سعيد: الاستشراق : ، ترجمة ، محمد العناني ، مرجع السابق ، ص 349 ، 399 36

حيث يمتزج الانبهار بالشرق، بجمالياته وأساطيره، بنظرة دونية تجعل منه في الوقت نفسه كائنًا غير ناضج وغير عقلائي و بالتالي يكون الإستشراق قد بلغ في هذه اللحظة حالته القصوى من "الازدهار" ، حيث تماهت المعرفة مع السلطة، وأصبح التمثيل بديلاً عن الحضور، وأنتج الشرق كنصّ مغلق، لا ككائن حيّ، و بهذا، يتجاوز "سعيد" مجرد نقد للصور النمطية، ليكشف البنية العميقة للخطاب الغربي حين يبلغ أقصى درجاته: الخطاب الذي يُخضع العالم لا من خلال السلاح فقط، بل من خلال الكلمة، واللغة، والنظرة التي لا ترى إلا ما يُناسب موقعها من التاريخ. إنه نقد لا يسائل "ما قيل" فقط، بل "كيف قيل"، ولماذا قيل، وباسم من؟ ومن هنا تفتح إمكانيات الفهم السياسي والفلسفي لما يعنيه أن نكتب عن الآخر، وما يترتب على سلطة القول حين لا تكون مجرد وصف، بل تأسيس لواقع .

الجزء الرابع : "أخر مرحلة" ، من الصفحة (435 - 497)

في الجزء الأخير من كتاب الاستشراق، يصل "إدوارد سعيد" إلى تتويج مشروعه النقدي، حيث يتوقف ليس فقط عند مظاهر الخطاب الاستشراقي، بل عند مسارات تطوره وتحولاته البنيوية، خاصة بعد "انتقال مركز ثقل الاستشراق من أوروبا إلى الولايات المتحدة فلا يتعامل "سعيد" مع هذه المرحلة بوصفها نهاية، بل باعتبارها تمظهرًا جديدًا لنفس المنظومة المعرفية، ولكن بأدوات أكثر تعقيدًا وتأثيرًا. فبينما كان الاستشراق في شكله التقليدي متجذرًا في الأدب والفكر الأكاديمي الكلاسيكي، أصبح اليوم أكثر قدرة على التغلغل في مجالات الإعلام والسياسة والبحث العلمي، متخفيًا وراء واجهات الحياد والخبرة والواقعية و ما يطرحه "سعيد" في هذا القسم هو أن الاستشراق الحديث لم يمت، بل تغير شكله، واكتسب طابعًا مؤسسيًا أكثر حدة، حيث أصبح يُمارس من خلال تقارير سياسية وتحليلات إستخباراتية وخطابات إعلامية تركز نفس الصور القديمة عن الشرق، ولكن بلغات جديدة ، واللافت في تحليل "سعيد" هنا أنه لا يكتفي بوصف التحول، بل يُظهر كيف أن هذه المرحلة الأخيرة هي الأكثر خطورة، لأن تمثيل الشرق لم يعد يُناقش بصفته قضية فكرية أو أخلاقية، بل أصبح جزءًا طبيعيًا من الثقافة السائدة، حتى لدى غير المتخصصين يتم إنتاج الشرق اليوم ككائن غريب، دائم التوتر، غير قابل للفهم إلا عبر وساطة غربية، ما يعيد إنتاج نفس المنطق

الاستشراقي ولكن بلغة معولمة، ومن خلال هذا التوصيف، يُبيّن "سعيد" كيف أن الاستشراق المعاصر أصبح جزءاً من البنية الذهنية الغربية، لا يحتاج إلى تبرير، بل يُمارَس كأمر مسلّم به ، وفي هذا الإطار، تبدو دعوة "سعيد" في "آخر مرحلة" واضحة: ليس المطلوب فقط تفكيك النصوص، بل مساءلة المؤسسات التي تُنتج هذا النوع من المعرفة، ومراجعة الطريقة التي يُبنى بها فهم الغرب للعالم من حوله. إنه نداءً أخير لتجاوز نمط من التفكير قائم على التمثيل الأحادي، وتأكيد على أهمية إعادة الاعتبار للشرق بوصفه ذاتاً ناطقة، لا موضوعاً للصياغة"³⁷، وبهذا لا يُغلق "سعيد" مشروعه، بل يفتحه على أسئلة جديدة حول علاقة المعرفة بالسلطة، وحول مستقبل العلاقة بين الثقافات حين تُفكَّك الصور الجاهزة، ويُفسَّح المجال لأصوات جديدة أن تعبّر عن نفسها من داخل سياقاتها.

ادوار سعيد: الاستشراق : ، ترجمة ، محمد العناني ، مرجع السابق ، ص 435 ، 477 37

المبحث الثاني : قراءة فلسفية في كتاب (إعادة صياغة الكتاب في مقال فلسفي)

حين قرأنا كتاب "الاستشراق" لأول مرة، شعرنا أننا لسنا أمام نص أكاديمي فقط، بل أمام عمل مكتوب بقلب مثقف مقاوم. "إدوارد سعيد" لم يكتفِ بتوثيق الاستشراق أو تحليله، بل كتب ضده، وفي ذلك يكمن جزء كبير من قوته وتأثيره حيث أن اللغة التي استخدمها كانت قوية ومتقنة، وتحليله كان عميقاً، لكن الأهم من ذلك هو الشعور الذي تركه في داخلنا كعرب ، شعور بأننا نستطيع أن نُقرأ كذات، لا كموضوع يخضع للتحليل من الخارج ، لكن وبالرغم من القوة التي تحلى بها الكتاب، فقد شعرنا في بعض المواضع أنه يتسم بنبوة تعميمية إلى حد ما فلم يكن هناك المجال الكافي لمناقشة التنوع داخل الخطاب الغربي نفسه، أو للإشارة إلى المحاولات الجادة والنزيهة لفهم الشرق بعيداً عن منطق الهيمنة أيضاً، بالإضافة إلى تركيز الكتاب الشديد على الغرب الذي جعل الشرق يظهر في بعض الأحيان ككيان سلبي دون أن يبرز قدرته على الفعل الذاتي أو التغيير، لكن رغم هذه النقاط التي نعتقد أنها تستحق النقد، يظل الكتاب عملاً تأسيسياً لا يمكن تجاهله فقد وضع موضوع التمثيل والسلطة في صميم النقاش الفلسفي والسياسي حول الهوية والثقافة، وأثره لا يزال حاضراً في كل حديث عن الشرق والغرب ، فحين نتحدث عن "الاستشراق"، فإننا لا نتحدث فقط عن علاقة بين ثقافتين أو حضارتين، بل عن بنية فكرية عميقة تجسد الطريقة التي يرى بها الغرب ذاته أولاً، والآخر المختلف (الشرق) ثانياً كما سيظهر لاحقاً، لم يكن أبداً كياناً ثابتاً أو جغرافياً بحتاً، بل كان بناءً معرفياً تم تشييده عبر قرون طويلة من التراكم الخطابى، تماهى فيه الأدب بالتاريخ، والفن بالسياسة، والعلم بالأيديولوجيا، فالاستشراق ليس حقلاً معرفياً فحسب، بل هو منظومة خطابية تسعى إلى تطويع "الآخر" داخل قوالب جاهزة، وتنتج عنه صوراً تدعم هيمنة "الأنا" الغربية ، لذلك فإن تحليل الاستشراق لا يمكن أن يتم بمعزل عن أسئلة فلسفية كبرى: من يُنتج المعرفة؟ من يمتلك سلطة التمثيل؟ كيف يتحول الإنسان إلى "موضوع" للدراسة دون أن يُمنح حق التحدث باسم نفسه؟

و في هذا السياق، برز "إدوارد سعيد" كمتقف مقاوم، لا ليكشف فقط زيف الخطاب الاستشراقي، بل ليعرّي بنيته الداخلية، ويضعه تحت مجهر التفكير الفلسفي، فهذا الكتاب لا

يتوقف عند نقد المحتوى بل يتجاوز ذلك إلى مساءلة الخطاب نفسه، منتصرًا لفكرة أن المعرفة لا يمكن أن تكون محايدة، بل هي دائمًا منحازة، ومشبعة بقوة السلطة التي تنتجها، و بناء على ذلك، سنقوم بتحليل شامل لفصول هذا العمل في قراءة فلسفية، ثم ننتقل إلى قراءة ذاتية للكتاب، فنعرض تأملًا شخصيًا في بنائه ومضمونه، قبل أن ننتقل إلى نقد شامل للاستشراق كمفهوم وسلوك، بعيدًا حتى عن تصور "إدوارد سعيد"، على أن نختم بموقف فلسفي متكامل حول هذا الإشكال المتشابك.

يبدأ "إدوارد سعيد" عمله بتحديد مفهوم "الاستشراق" من حيث كونه حقلاً معرفيًا وإنتاجًا ثقافيًا، لا مجرد مجموعة من الدراسات الأكاديمية عن الشرق، فالاستشراق، كما يُقدمه، هو نظام معرفي متكامل يقوم على خلق صورة "الشرق" كآخر غريب، عاطفي، شهواني، غير عقلاني، يتناقض في جوهره مع الغرب العقلاني، المتقدم، الحضاري وهذا التناقض ليس بريئًا، بل يخدم مشروعًا سياسيًا أوسع يُرسخ التفوق الغربي ويبرر سيطرته على المناطق الشرقية، فالفصل الأول من الكتاب، يُظهر "سعيد" كيف أن الاستشراق مؤسسة مرتبطة بمراكز القوة الغربية، حيث عمل المستشرقون ليس فقط كباحثين، بل كمترجمين، وموظفين، ومستشارين في الإدارة الاستعمارية، وبالتالي فإن معرفة الشرق لم تكن مسألة فضول علمي، بل جزءًا من مشروع إداري ثقافي يهدف إلى احتوائه، ويضرب لنا أمثلة على شخصيات بارزة مثل "إرنست رينان"، و "أنطوان سيلفستر"، و "دي ساسي"، ويُظهر كيف تم بناء صورة الشرق بوصفه موضوعًا للدرس والسيطرة في آن واحد، ومن خلال نقده للمنهجية الغربية، يُسلط "سعيد" الضوء على تواطؤ المعرفة مع السلطة، ويستدعي مفهوم "ميشيل فوكو" عن "الخطاب" ليؤكد أن ما يُقال عن الشرق ليس حقيقة موضوعية، بل جزء من "نظام تمثيلي" يعمل على تآبيد الفرق بين الغرب والشرق و بهذه الرؤية، يصبح الاستشراق أكثر من مجرد دراسة للآخر، بل إعادة تشكيل الآخر بما يخدم الذات الغربية.

ثم في الفصل الثاني ينقلنا "إدوارد سعيد" إلى مرحلة حاسمة في تطور الخطاب الاستشراقي، وهي تلك التي امتدت من نهاية القرن الثامن عشر إلى منتصف القرن العشرين، بحيث في هذه الفترة، أصبح الاستشراق أكثر احترافًا، بل أكثر تأثيرًا في تشكيل السياسات والثقافات

الغربية تجاه الشرق ، وهنا تتجلى الفكرة المركزية لدى "سعيد" والتي مضمونها أن الاستشراق ليس خطابًا عن الشرق، بل خطاب عن القوة والهوية الغربية ، فينتبع "سعيد" تطور هذه العلاقة من خلال نصوص وأعمال مفكرين وأدباء وفلاسفة مثل ، "دي ساسي"، "نابيير"، "هومبولت"، بل وحتى "كارل ماركس"، مُظهرًا كيف أن الجميع، بوعي أو بدونه، ساهم في ترسيخ صورة معينة للشرق، تُظهره كمنطقة خارجة عن الزمن، راکدة، بحاجة إلى تدخل "الغرب المنقذ" فحتى أولئك الذين كتبوا بتعاطف مع الشرق، لم يخرجوا في النهاية عن دائرة التمثيل الاستشراقي الذي يُخضع الآخر لتصورات مسبقة إن ما يكشفه "سعيد" في هذا الفصل هو أن الاستشراق قد تحول من مجرد علم إلى أداة ثقافية كونية يتسرب إلى كل أشكال التعبير من الأدب إلى السياسة، ومن الجامعات إلى الصحافة ، وبهذا، فإن الاستشراق لم يكن ظاهرة هامشية، بل أحد أعمدة بناء العالم الحديث، كما رآه الغرب لنفسه ولغيره .

أما في الفصل الثالث يُقدّم "سعيد" تمييزًا مهمًا بين "الاستشراق الكامن" و"الاستشراق السافر" ، فالأول يُمثّل البنية العميقة للخطاب، أي تلك الصور المتجذرة في الوعي الجمعي الغربي عن الشرق، التي تُؤطر طريقة التفكير قبل حتى أن تُصاغ في نصوص، أما الثاني فهو الشكل الظاهري المعلن للخطاب الاستشراقي كما نراه في الدراسات والمقالات والتقارير، كما أن هذا التفكيك يُمكننا من فهم أن السيطرة المعرفية التي لا تحتاج دائمًا إلى أقوال صريحة، بل قد تكون مضمنة في اللغة ، ثم ينتقل "سعيد" لتحليل الكيفية التي يُعاد فيها إنتاج الشرق كـ"كائن رمزي" يحمل معاني معينة أكثر من أن يكون واقعًا موضوعيًا فالصورة النمطية لا تقول فقط شيئًا عن الشرق، بل تُرسّخ شيئًا عن الغرب نفسه بأنه العقل، النظام، التاريخ، بينما يُسحب كل هذه القيم من الشرق ، و لكي نوضح المقصود من هذا فإن الاستشراق هو خطاب ينتج "الآخر" ليؤكد على الذات الغربية ، فهذا النمط من التفكير لا يقف عند حدود النوايا. فحتى أكثر المستشرقين دقة وأمانة، ينزلقون لاشعوريًا إلى إعادة تدوير هذه الصور، لأنها ببساطة أصبحت جزءًا من اللغة الغربية عن الشرق. إن وظيفة "سعيد" هنا ليست إدانة فردية، بل كشف بنية معرفية، تُمارس الهيمنة من داخل النص، لا

من خارجه و بالتالي هذا التحليل يُعيدنا إلى المنهج الفوكوي: حيث يصبح النص فضاءً للمقاومة، ومجالاً للسيطرة في آنٍ واحد ، وقد كشف لنا "إدوارد سعيد" بأن الاستشراق لم يكن أبدًا محايدًا بل هو خطاب يُنتج المعنى، ويُشكل الرؤية، ويفرض منطقتًا معينًا على العلاقة بين الغرب والشرق ، وحتى في لحظات "التعاطف" مع الشرق، يظل المستشرق يحتفظ بموقع العارف، المراقب، القادر على إعادة صياغة الواقع الشرقي بلغته الخاصة، بل ومن خلال عدسة سياسية وثقافية تصنع "شرقًا" مناسبًا لخيال الغرب وحاجاته. ، ثم تحدث عن الطابع الدنيوي الذي يقصد به أن الاستشراق لا يمكن فصله عن الزمن والتاريخ والمجتمع فهو ليس نشاطًا أكاديميًا معزولًا، بل ممارسة اجتماعية لها نتائج مادية، تُؤثر في السياسات، وتُشكل التصورات العامة، وتُعيد إنتاج التفاوت بين المركز والأطراف وهنا تتجلى براعة "سعيد" في استثمار أدوات النقد الفلسفي، خاصة من "فوكو" ، ثم تناول سعيد مرحلة النضج الكامل للاستشراق في كل من فرنسا وبريطانيا خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، وهي الفترة التي بلغ فيها الخطاب الاستشراقي ذروة تأثيره وهيمنتته، متوازنًا مع اتساع المشروعات الاستعمارية لهذين البلدين ، فلقد تحول الاستشراق إلى أداة مركزية في عقلنة الاستعمار وتبريره، بحيث لم تعد الهيمنة العسكرية ممكنة دون الإسناد المعرفي الذي تُوفره المؤسسات الأكاديمية، والكتب، والرحلات، والأعمال الأدبية .

ثم يذهب "إدوارد سعيد" إلى الفصل الحاسم، والذي تحدث فيه عن المرحلة الحديثة من الاستشراق، تلك التي تواكبت مع صعود الولايات المتحدة الأمريكية كقوة استعمارية جديدة، وتحول الاستشراق من مشروع أوروبي مركزي إلى خطاب معولم، يتخذ أشكالًا جديدة، ويستخدم أدوات محدثة، لكنه يظل وفياً للبنية الأساسية التي تحدث عنها "سعيد" منذ بداية الكتاب ، ففي هذه المرحلة أصبح الاستشراق أقل ارتباطًا بالمؤسسات التقليدية (كالجامعات والأكاديميات) وأكثر تجذرًا في وسائل الإعلام، ومراكز البحوث، وحتى السينما والثقافة الشعبية ، فالشرق لم يُعد موضوعًا للبحث فحسب، بل بات موضوعًا للأمن القومي ، ويُشير "سعيد" إلى أن ما يميز هذه المرحلة هو تراجع الإدعاء العلمي الظاهري، مقابل صعود التمثيلات المباشرة التي تخط السياسة بالثقافة، والخطاب الإعلامي بالاستشراق ، وهكذا،

تُبنى صورة "الإسلام" كخطر عالمي، و"العربي" كإرهابي محتمل، في إطار من السرديات التي تستعيد الاستشراق الكلاسيكي ولكن بثوب أكثر بساطة وخطورة ، و هنا يؤكد لنا أن الاستشراق الحديث قد أصبح أكثر خفاءً، ولكنه أكثر تأثيراً، لأنه لم يعد يُروَّج له من النخبة الثقافية فقط، بل يُعاد إنتاجه يوميًا في نشرات الأخبار، وفي تقارير المخابرات، وفي الأفلام والمسلسلات ، وهذا ما يجعل مقاومته أكثر تعقيدًا، لأنه لم يعد مجرد خطاب مكتوب، بل أصبح نمطًا إدراكيًا يشكل تصورات الناس العاديين .

و بعد إطلاعنا على هذا الكتاب و أفكاره فقد فتح لنا المجال لنقد الإستشراق نقدا شخصيا ، و ما تبين لنا أن الاستشراق في جوهره ليس فقط نمطًا معرفيًا، بل هو علاقة غير متكافئة في إنتاج المعنى، تُحوّل "الآخر" إلى مرآة تُمجدّ بها "الذات"، بل إنه ممارسة رمزية قوامها السيطرة عبر التمثيل، حيث تُصبح الثقافة أداة من أدوات الهيمنة الناعمة، والعين التي تُراقب ليست عين فضول محايدة، بل عين تملك لتعيد تشكيل العالم كما تشاء ، وبالتالي فإن مأزق الاستشراق لا يكمن فقط في محتواه، بل في أسسه المعرفية والأخلاقية فلماذا يفترض أحدهم أنه مؤهل لتفسير ثقافة أخرى، وتمثيلها، وتحديد ما هو "حقيقي" فيها؟ ، و هل مجرد التفوق العسكري أو التكنولوجي يُعطي الشرعية المعرفية" ؟ ، أم أن المعرفة هنا لم تكن يومًا بريئة، بل كانت دومًا جزءًا من المشروع الكولونيالي الذي يُعيد هندسة الآخر كي يكون صالحًا للخضوع؟

فحتى حين يتظاهر الاستشراق بالتعاطف أو الإعجاب، فإنه لا يُغادر منطق الهيمنة فالإعجاب نفسه قد يكون شكلاً ناعمًا من التملك "نحبكم، ولكن كما نريد أن تكونوا"، "نُبجلكم، ولكن من موقعنا، ضمن شروطنا، وفق مقاييسنا". هنا يصبح الآخر جميلًا فقط حين يُلائم خيالنا، ومقبولًا فقط حين لا يُهدد سرديتنا عن أنفسنا ، فما نحتاجه اليوم ليس مجرد تفكيك للاستشراق، بل إعادة بناء لعلاقة الذات بالعالم، خارج منطق المركز والهامش، خارج معادلة "العارف" و"الموضوع" بمعنى نحتاج إلى ثقافة تفهم الاختلاف لا كمشكلة يجب حلها، بل كقيمة يجب احتضانها و نحتاج إلى معرفة تُبنى على الاحترام، لا على التفسير من الأعلى، وعلى الحوار، لا على التسمية ، فحينما نغادر نص "إدوارد سعيد" وننظر إلى

الاستشراق من زاوية أكثر ذاتية، ندرك أن المشكلة ليست فقط في من كتب، بل في من سمح بأن يُكتب عنه بهذه الطريقة، ومن أعاد استهلاك هذا الخطاب، فالاستشراق ليس فقط فرضاً خارجياً، بل أصبح في كثير من الأحيان هيمنة داخلية: نُعيد إنتاج صورنا كما رسمها الآخر، ندرّسها، نُمثّلها، ونُصدّقها. وهو ما يجعل مقاومة الاستشراق أكثر تعقيداً مما تصوّرنا "سعيد".

في نهاية هذا التأمل، يظهر أن "الاستشراق" ليس مجرد إشكال أكاديمي، بل سؤال فلسفي عميق في جوهر العلاقة بين المعرفة والسلطة، بين الذات والآخر لقد كشف إدوارد سعيد عن البنية العنيفة للتمثيل، لكنه فتح أيضاً الباب لسؤال لا يقل أهمية: كيف نعيد تشكيل خطاب إنساني جديد، يتجاوز الاستشراق ولا يقع في فخه من جديد؟ لكي نبني علاقة صحية مع الآخر، لا بد أن نتحرر من إغراء الصورة الجاهزة، ومن نزعة التمثيل الأحادي وبالتالي علينا أن نعترف بتعدّد الذوات، وبحق كل ثقافة في أن تُعبّر عن نفسها بلغتها، ورمزيتها، وخصوصيتها، كما أن مقاومة الاستشراق في عمقها ليست رفضاً للغرب، بل دفاعاً عن إنسانية الإنسان أيّاً كان موطنه، لونه، دينه، أو لغته. إنها مقاومة ضد تحويل البشر إلى مفاهيم، وما أحوجنا اليوم في زمن التبسيط الإعلامي، إلى هذا الوعي الفلسفي العميق .

المبحث الثالث : إسقاط أفكار كتاب الإستشراق لإدوارد سعيد في الواقع مع المقاربات

في ضوء تحليل "إدوارد سعيد" لمفهوم "الاستشراق" كخطاب سلطوي يُنتج الشرق بدلاً من أن يكتشفه، يتبدى لنا اليوم أن هذا الخطاب لم ينته بانتهاء الاستعمار الكلاسيكي، بل أعاد تشكيل نفسه بأقنعة جديدة ضمن بنى الهيمنة الثقافية والإعلامية والاقتصادية المعاصرة ، فالعقل الغربي ما زال، بطريقة أو بأخرى، يُصرّ على احتكار سلطة التمثيل، مُعيداً صياغة الآخر الشرقي ككائن استثنائي تارة مهدد وتارة ضحية، ولكن نادراً ما يُمنح حق الكلام باسم ذاته ، ويمكن القول إن الاستشراق الجديد لا يعمل فقط على تشويه الشرق، بل يتسلل إلى داخل الذوات الشرقية نفسها، حين تُعيد هذه الذوات تمثّل صورتها عبر مرآة الآخر الغربي، لتصبح جزءاً من منظومة الهيمنة ذاتها ، ففي الواقع المعاصر تتجلى هذه المقاربة من خلال التغطيات الإعلامية الغربية للنزاعات في الشرق الأوسط، حيث تُختزل المجتمعات المعقدة إلى ثنائيات البدائية معتدلون مقابل متطرفين، عقلانيون مقابل عاطفيين، ديمقراطيون مقابل استبداديين. هذه الثنائيات تُعيد إنتاج المنظور الكولونيالي ذاته الذي انتقده "سعيد"، حيث الغرب يظل "المرجعية العليا"، الحامل للمنطق والحدثة، في حين يُعاد تصنيف الشرق كفضاء للفوضى والعنف، بل إن خطاب التنمية الدولي، الذي يبدو في ظاهره إنسانياً وتقدمياً، غالباً ما يحمل في باطنه آليات استشراقية تُملي على المجتمعات "النامية" كيف تكون، وكيف تفكر، وكيف تتقدّم وفقاً لنموذج غربي مفترض للحدثة ، وإذا تأملنا في علاقة المعرفة بالسلطة التي أبرزها "سعيد"، نرى اليوم أن المؤسسات الأكاديمية الكبرى، ودوائر صنع القرار في الغرب، ما زالت تتحكم في إنتاج المعنى حول "الشرق"، وتُعيد تدوير نفس الصور النمطية وإن كانت بلغة أكثر نعومة، فحتى المفاهيم الحقوقية، حين تُسقط على مجتمعاتنا من علّ، تتحوّل من أدوات تحرر إلى أدوات رقابة، ومن مبادئ كونية إلى ذرائع لتدخل الخارج في الشأن المحلي ، فلقد تحوّل الاستشراق إلى نوع من "البنية التحتية الثقافية" التي تشكل اللاوعي السياسي والاجتماعي للعالم المعاصر، وهو ما يجعل نقده اليوم أكثر إلحاحاً من أي وقت مضى ، كما أن مقارنة "سعيد" لا تتعلّق بمجرد دراسة العلاقة بين الغرب والشرق، بل تكشف عن طبيعة أعمق للهيمنة، حيث يصبح الفكر ذاته و المعرفة ذاتها

هي أداة لإعادة إنتاج اللامساواة ، فالصراع لم يعد فقط على الأرض أو الموارد، بل على المعنى من يملك الحق في أن يُعرّف الآخر؟ من يملك سلطة القول؟ ومن يُجبر على أن يكون موضوعاً للخطاب لا ذاتاً فاعلة فيه؟ في هذا الإطار، يصبح عمل "سعيد" دعوة مستمرة لتحرير الفكر من أسر التمثيلات المفروضة، ولفتح أفق إنساني أرحب، لا يقوم على مبدأ التفوق بل على الاعتراف المتبادل، لا يُنتج الآخر كمشكلة، بل يُصغي له كذات ، وإذا أسقطنا تحليل "إدوارد سعيد" على واقع الإعلام العربي المعاصر، سنجد أن الاستشراق لم يعد مجرد خطاب خارجي مفروض من الغرب، بل أصبح يتسلل إلى داخلنا، في آليات التغطية، في مفردات التحليل، وحتى في تمثيلات الذات. فكم من وسيلة إعلام عربية تتبنى، بوعي أو دون وعي، سرديات غربية عن شعوبها؟ وكم من خطاب داخلي ينقل إلينا صورة عن أنفسنا كما لو كنا بحاجة دوماً إلى "تحديث" أو "إصلاح" وفقاً لنماذج غربية؟ هنا يتحوّل الاستشراق من مشروع استعماري خارجي إلى بنية داخلية، تُعيد إنتاج الهيمنة بأدوات محلية إننا نرى هذا في اللغة التي يُوصف بها الفاعل المحلي المواطن العربي الذي لا يعرف مصلحته، أو المجتمعات "الجاهلة" التي تحتاج إلى "التنوير"، أو حتى في خطاب التحسّر على "تخلّفنا" مقارنةً بـ"تقدّمهم"، كما لو أن التاريخ خط مستقيم يجب أن نلتحق به ، و في هذا السياق يصبح الإعلام العربي امتداداً للخطاب الاستشراقي لا بمعنى التبعية فحسب، بل في مستوى أعمق أي في إعادة إنتاج خريطة العالم الذهنية، حيث تُختزل الذات العربية إلى كونها مُتخلّفة، عنيفة، عاطفية، وغير عقلانية، بينما يُستدعى الغرب كنموذج مطلق للراقي والحداثة، والنتيجة أن الجماهير تُصبح سجيناً صور نمطية مزدوجة صورة عن الآخر المتفوق وصورة عن الذات المنقوصة ، وهكذا يتحوّل الإعلام من أداة تحرّر إلى أداة "تغريب" داخلي، لا تختلف كثيراً في بنيتها العميقة عن الخطاب الاستشراقي الكلاسيكي الذي صوّره "سعيد" ، وما يفاقم هذه الأزمة أن هذا الخطاب لا يُواجه بما يكفي من النقد داخل المجتمعات العربية، بل يُستهلك على أنه "واقع" أو "حقيقة موضوعية"، في حين أنه ليس سوى خطاب أيديولوجي، يشتغل على ترويض الوعي وتوجيه الإدراك، وهنا تتبدى أهمية العودة إلى مشروع "إدوارد سعيد" ليس كأطروحة أكاديمية فحسب، بل كأداة تحرير للوعي، وكمهج لفضح السلطة المتخفية في الخطاب، سواء كانت غربية أم محلية، فالمعركة

اليوم ليست فقط مع الآخر الغربي الذي ينتج خطاباً عنّا، بل أيضاً مع ذواتنا حين نعيد استنساخ هذا الخطاب ونتبناه ضد أنفسنا ، وحين ننتقل إلى ميدان التعليم في العالم العربي، نجد أن الأثر الاستشراقي لا يقل خطورة عنه في الإعلام، بل ربما يكون أشد رسوخاً وخفاءً، فالنظام التعليمي في كثير من بلداننا لا يزال يكرّس فكرة المركزية الغربية، لا عبر محتوى المناهج فقط، بل أيضاً من خلال الطريقة التي يُقاس بها "العلم" و"النجاح" و"الحدثة" فنحن نتعلّم التاريخ وكأن أوروبا هي محور الزمن، ونتعلّم الفلسفة وكأن العقل لم يولد إلا في أثينا، ونتعلّم الأدب كأن التعبير الإنساني النبيل لا يُكتب إلا بالفرنسية أو الإنجليزية فهذه ليست مجرد مفارقات أكاديمية، بل مظاهر عميقة لانزياح الوعي نحو تمثّل الذات من خلال مرآة الآخر ، والأخطر من ذلك، أن هذا النمط التعليمي لا يُنتج أفراداً متحرّرين، بل يُكرّس التبعية على مستوى الأفكار و هذا لإننا ندرّس أبناءنا اللغات الأجنبية قبل أن نعلّمهم أن يفكروا بلغتهم، نعلّمهم مناهج النقد الغربي قبل أن نعرّفهم بالتراث النقدي العربي، نحفل "بديكارت" ونُهمل "ابوحامد الغزالي"، نقرأ "إميل دوركايم" ولا نقرأ "ابن خلدون"، ثم نتساءل: لماذا يشعر الطالب بالاغتراب؟ لماذا يبدو الفكر العربي الحديث معلقاً بين حدثة مستعارة وأصالة منسيّة؟

إن مشروع "سعيد" لم يكن دعوة إلى الإنغلاق أو رفض الآخر، بل كان نداءً لتحرير العلاقة مع الآخر من دونية متأصّلة، ولإعادة بناء الذات عبر تفكيك البنى التي تحكم طريقة تفكيرنا قبل أن تحكم سياساتنا. ولهذا فإن إعادة قراءة "الاستشراق" في ضوء المناهج التعليمية العربية ليست ترفاً نظرياً، بل ضرورة وجودية، لأننا إن لم نحرّر المعرفة من الاستشراق، سنبقى نعيد إنتاج الهزيمة وإن توهمنا النصر ، أما في حقل السياسة الخارجية، تتجلى أطروحات "إدوارد سعيد" بكل قسوتها وراهنية حضورها ، فالرؤية التي تُوجّه استراتيجيات الغرب تجاه العالم العربي لا تزال محكومة بذات المنظور الاستشراقي الذي لا يرى في شعوب هذه المنطقة سوى حقول اختبار للمشاريع، أو فضاءات للفوضى التي تحتاج إلى "تقويم" السياسات التي تُبنى تحت شعار "نشر الديمقراطية" أو "حماية حقوق الإنسان" كثيراً ما تتخفى وراءها نزعة استعمارية محدثة، تُعيد إنتاج نفس العلاقات غير المتكافئة التي

نَبّه إليها "سعيد"، ولكن بأدوات وأسماء جديدة، وهكذا يصبح التدخل مشروعاً، ما دام الآخر يُصوّر دائماً كمأزوم، كمهدد، كقاصر عن حكم نفسه ، فعلياً فقط أن نتأمل طريقة تناول القضايا العربية في دوائر صنع القرار الغربي، فلسطين تُناقش لا كقضية تحرر، بل كمف "أمّني"، والعراق كـ"خطأ استراتيجي" بحيث أن الكلمات ليست بريئة، بل هي أدوات لفرض سردية سياسية تُعيد ترتيب الواقع وفقاً لأولويات الهيمنة ، وبهذا المعنى، فإن الخطاب السياسي ليس منفصلاً عن الخطاب الاستشراقي، بل امتداده العملي، ترجمته في شكل سياسات واتفاقيات وتحالفات مشروطة ، وما يثير الألم والقلق، هو كيف تُستخدم نفس الأدوات الخطابية التي فكّكها "سعيد" لتبرير التدخل في العالم العربي اليوم: "محاربة الإرهاب"، "دعم التحوّل الديمقراطي"، "حماية المرأة"، "إنقاذ الأقليات"... كلها شعارات تُلامس وجدان العالم، لكنها تُستخدم لتثويبه إرادة الشعوب وفرض نماذج لا تعبّر عنها إن اختزال المجتمعات إلى ضحايا يحتاجون إلى "منقذ خارجي" هو إعادة إنتاج لصورة "الشرق الطفولي" التي فضحها "سعيد"، ذلك الشرق الذي لا يُفكّر، بل يُفكّر له ، وبالتالي حين نُسقط مشروع "سعيد" على واقع الإعلام، نكتشف كم تُساق بلطف نحو تصديق روايات لا تعبّر عنّا، وكم نُحاصر بصور تم تجميعها لتشبهنا شكلاً، لكنها في عمقها تنتج عن غيابنا الكامل، وحين ندخل التعليم، نجد أنفسنا نتعلّم أن ننظر إلى ذواتنا بعين الآخر، أن نُعيد إنتاج الفكرة القائلة بأننا نحتاج إلى الخلاص لا من الداخل، بل من خارجنا، ثم تأتي السياسات لتُكمل المشهد: خطابات دولية مطعّمة بأخلاق إنسانية، لكن تُدار وفق منطق القوة، ولا ترى في الإنسان العربي سوى معضلة أمنية أو عبئاً حضارياً ، وفي هذا السياق، تبدو أفكار "سعيد" أكثر راهنية من أي وقت مضى و هذا لأن المعركة اليوم ليست على الأرض فقط، بل على الوعي فالمعركة تبدأ من استرداد القدرة على تسمية أنفسنا، وعلى كتابة قصّتنا بلغتنا، وعلى النظر إلى هذا الشرق لا كظلٍ للغرب، بل كذات مستقلة، لها حقّ أن تفكر وتخطئ وتُبدع دون وصاية ، بالإضافة إلى ذلك لقد علّمنا "سعيد" أن نقد الآخر لا يكفي، ما لم نقم بنقد الطريقة التي نتلقّى بها الآخر، والطريقة التي نفهم بها أنفسنا ، فتحرير الإنسان يبدأ من

تحرير تصوّره لذاته، وتلك هي المهمة الأعمق والأصعب، ومن هنا، فإن "الاستشراق" لا ينتمي إلى الماضي، بل هو نصّ مستقبلي، مفتوح على كل تأمل صادق .

الخاتمة :

في الأخير و من خلال بحثنا نقول بأننا حينما شرعنا في كتابة هذا البحث، لم نكن نتخيل أن الغوص في مفهوم "الاستشراق" سيقودنا إلى هذا الكم الهائل من الأسئلة المفتوحة والهواجس الفكرية التي لا تنتهي، فقد بدا لنا منذ البداية أن الأمر لا يقتصر على تعريف لغوي أو خلفية تاريخية، بل يتعلّق برؤية كاملة للعالم، بمنطق الهيمنة والتمثيل، وبصراع خفي بين من يملك سلطة إنتاج المعرفة ومن يُختزل في صورة ، ففي الفصل الأول حاولنا أن نضع هذا المفهوم في سياقه المعرفي والفلسفي، و نحن نعترف بأنّ قراءة "إدوارد سعيد" تركت أثراً عميقاً ، فلم يكن كتابه مجرد تحليل نظري، بل تجربة فكرية كاملة، تُجبرك على إعادة النظر في أبسط المسلّمات التي تربيّنا عليها، وتكشف لك كيف تُبنى الصور النمطية بصيغة أكاديمية مُضلّلة، أما في الفصل الثاني، فقد سعينا إلى تفكيك بنية الخطاب الاستشراقي من خلال تحليل الكتاب نفسه، والوقوف عند الإشكالية الجوهرية التي طرحها كيف يمكن للمعرفة أن تكون أداة للهيمنة؟ وكيف يُعاد إنتاج "الشرق" وفقاً لتصورات الغرب، لا كما هو فعلاً، بل كما يُراد له أن يكون؟ وأثناء إعادة صياغة أفكار "سعيد" في قالب فلسفي، وجدنا انفسنا مأخوذين بسؤال أوسع هل يمكننا، نحن أبناء هذا "الشرق"، أن نستعيد حقنا في تعريف أنفسنا بأنفسنا؟

فعندما أسقطتنا هذه الأفكار على واقعنا المعاصر، رأينا كم أنّ خطاب الاستشراق لا يزال متجذراً في الإعلام، والسياسات، وحتى في لاوعينا الثقافي، وكأنّ المعركة لم تنته، بل تغيّرت أدواتها فقط ، و من هنا، أظنّ أن الإجابة عن الإشكالية التي انطلق منها البحث لا يمكن أن تكون نهائية، لأنّ خطاب الاستشراق نفسه ليس جامداً، بل يتجدد ويتكيّف لم يكن نهاية لمسار معرفي، بل بداية لتأمل أطول وأعمق ، فلقد فتح أمامنا أفقاً للبحث لا يرتبط فقط بالاستشراق كخطاب، بل بالسؤال الأكبر حول العلاقة بين القوة والمعرفة، وبين الذات والآخر، و نحن نعتقد أنّ الحاجة اليوم ملحة لقراءات جديدة، شجاعة، لا تكتفي بتفكيك الخطابات السائدة، بل تسهم أيضاً في بناء وعي نقدي بديل، وكتابة أكثر إنصافاً للإنسان أينما كان .

قائمة المصادر و المراجع :

- 1 ابن منظور لسان العرب الجزء الثالث دار النشر ، الصادر لطباعة ، بيروت لبنان ط 1 ، 1997 ، ص 425
- 2 أوراق بحثية ، المساءلة النقدية بين مالك بن نبي و محمد عابد الجابري ، د.زهير بن كتفي كلية العلوم الاسلامية جامعة الوادي ، تاريخ النشر 2024/10/15 ، تاريخ الإعتقاد 2024/12/25 س 21:15
- 3 أحمد سمايلوفيتش :فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1998، ص22
- 4 مالك بن نبي ؛إنتاج المستشرقين وأثره في الفكرالإسلامي الحديث ؛ دارالإرشاد؛ بيروت لبنان ؛1969م ؛ ص5
- 5 مذكرة تخرج شهادة ليسانس ، في الأدب العربي ، قراءة في كتاب الإستشراق لإدوارد سعيد ، جامعة الطاهر مولاي، ولاية سعيدة ، من اعداد الطلبة ، عداوي مروى ، نواري رقية ، السنة الجامعية ، 2020/2019 ص 4
- 6 إدوارد سعيد الثقافة و الإمبريالية ، ترجمة ، كمال أبو ديب ، الطبعة الثالثة 2004 ، بيروت ، دار الأدب ، ص 100-120
- 7 محمد عابد الجابري ، المسألة الثقافية ، الطبعة الاولى ، بيروت ، مركز الدراسات الوحدة العربية ، 1994 ، ص 270
- 8 ادوار سعيد: الاستشراق : ، ترجمة ، محمد العناني ، الطبعة الأولى 2006 ، القاهرة رؤية للنشر و التوزيع ، ص19
- 9 وثائقي على اليوتيوب ، "خارج النص" ، "عندما أعلن إدوارد سعيد الحرب على الاستشراق" تاريخ الاعتماد2025/02/24سا18:00الرابط:

<https://www.youtube.com/watch?v=ulQTOPwfwc>

ترجمة المصطلحات و المفاهيم :

الترجمة باللغة الإنجليزية	المصطلح/المفهوم
Orientalism	الاستشراق
Orientalists	المستشرقين
the Orient	الشرق
the West	الغرب
Power	السلطة
Hegemony	الهيمنة
the Western imaginary	المخيال الغربي
Objective	موضوعي
Subjective	ذاتي
Identity	الهوية
Ideology	الإيديولوجية
Eastern societies	المجتمعات الشرقية
Knowledge is power	المعرفة سلطة
Orientalist discourse	الخطاب الاستشراقي
Eastern civilizations	الحضارات الشرقية
Western perceptions	التصورات الغربية
Arabists	المستعربين

Western civilizations	الحضارات الغربية
Delusional Disorder	العصاب التوهمي
The Eastern World	العالم الشرقي
Geopolitical	الجيوسياسي
Colonial Plans	الخطط الإستعمارية
Spiritual Orientalist	المستشرق الروحاني
The Model of Independence	النموذج الإستقلالي
Tendencies	النزعات
Supremacist Tendency	النزعة التفوقية
Analytical Tendency	النزعة التحليلية
Specialization Tendency	النزعة التخصصية
Theological Tendency	النزعة اللاهوتية
Political Tendency	النزعة السياسية
Alienation	الإغتراب
Autocratic Systems	الأنظمة الإستبدادية
Radicalism	الراديكالية
Western Hegemony	السيطرة الغربية

Discourse Analysis	تحليل الخطاب
Uncovering the Political Dimensions	كشف الأبعاد السياسية
Nationalism	القومية
Entity	كيان
The Cultural Structure of the West	البنية الثقافية للغرب
Imaginary Geography	الجغرافيا الخيالية
Colonialism	الكولونيالية
Modernity	الحدثة
Urbanization	التحضر
Authoritarian Agenda	مشروع سلطوي

فهرس الأعلام :

الصفحة	الفيلسوف/المفكر
01	مكسيم رودسون
02	محمد عابد الجابري
05	مالك بن نبي
05	حسن الخربوطلي
05	الطيب بن إبراهيم
06	عبد الله علي العليان
08	أرسطو
09	القديس كيرلس
41-31- 30 -10	إرنيست رينان
10	جاك بيرك
11	لويس ماسينيون
11	برناد لويس
42-16	كارل ماكس

43-41-22-17	ميشال فوكو
23	فلوبير نيرفال
42-41-30	سلفيستر دي ساي
34	جاك ديريدا
35	نيتشه
41	أنطوان سيلفيستر
42	نابير
42	هومبالت
49	ديكارت
49	أبو حامد الغزالي
49	ابن خلدون
49	إميل دوركايم

الفهرس :

إهداء

كلمة الشكر و التقدير

مقدمة أ - ث

الفصل الأول : مفهوم الاستشراق ، والنشأة التاريخية ، فلسفة
الاستشراق ، قراءة في فكر إدوارد سعيد .

- المبحث الأول : مفهوم الاستشراق و النشأة التاريخية 01
- أ - المفهوم اللغوي للاستشراق 01
- ب - مفهوم الإصطلاحي للإستشراق 01
- ت - مفهوم آخر للاستشراق 02
- ث - مفهوم الاستشراق عند بعض المفكرين العرب 03
- 1 - عند إدوارد سعيد 03
- 2 - عند محمد عابد الجبري 04
- ث - مفهوم مصطلح المستشرق 05
- ج - النشأة التاريخية للإستشراق 06
- المبحث الثاني: فلسفة الإستشراق ، و مناهجها 08
- أولا : فلسفة الإستشراق 08
- ثانيا : مناهج الاستشراق 12
- المبحث الثالث : قراءة في فكر إدوارد سعيد 14

الفصل الثاني : قراءة في كتاب " ادوارد سعيد " " الاستشراق "
(من ناحية الشكلية) ، (من ناحية المضمون).

18	المبحث الأول : من الناحية الشكلية
20	المبحث الثاني : قراءة في كتاب من ناحية المضمون
20	أولا : الفكرة العامة
21	ثانيا : الإشكالية المركزية
22	ثالثا : الأفكار الأساسية
22	الفكرة الأساسية الأولى
28	الفكرة الأساسية الثانية
34	الفكرة الأساسية الثالثة
40	المبحث الثاني : قراءة فلسفية في كتاب (إعادة صياغة في مقال فلسفي).....
47	المبحث الثالث : إسقاط أفكار كتاب " الاستشراق " في الواقع مع الأمثلة.....
52	الخاتمة
54	قائمة المصادر و المراجع
55	ترجمة المصطلحات و المفاهيم للغة الإنجليزية
59	فهرس الأعلام